الجزء ٦ و٧ و٨ السنة الرابعة

الجامعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية ــ الجزء السادس ــ سنة ١٩٠٣ م ــ سنة ١٣٢١ هـ



رنان في آخر عمره

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الفيلسوف رنان

« الاحتفال في الشهر السابق بنصب تمثاله في فرنسا »

مثال الفيلسوف الكامل

لم نكد نفرغ في الجزء السابق من تفصيل الاحتفال بنصب تمثال الفيلسوف جول سيمون حتى قامت الضجة في فرنسا لنصب تمثال الفيلسوف ارنست رنان في بلدة " تريجيه " مسقط رأسه (١) وقد ذكرت الشركات البرقية هذا الحادث في حينه ليس فقط لسمو منزلة الرجل بل لان ناصبي التمثال جعلوا له معنىً خصوصياً خيف ان يحدث بسببه اضطراب في بريطانيا . واليك البيان

من المشهور ان مقاطعات بريطانيا الفرنسوية شديدة التمسك بالتقاليد الدينية القديمة . وقد ولد رنان فيها في بلدة « تريجيه » التي تقدم ذكرها . ولا يزال منزلة فيها كعبة يحجُّ اليها الاوروبيون والاميركيون ليشاهدوا الجدران التي تحركت ضمنها روح افلاطون المتأخرين وكبير حكماء الفلسفة الادبية والدينية في العالم . فبسبب ما قام في فرنسا بين الحزب الجمهوري والحزب الاكليريكي في العامين الماضيين وانتصار البريطانيين للحزب الاكليريكي انتصاراً شديداً كاد يفضي الى ثورة اهلية في بريطانيا حين اقفال مدارسها الاكليريكية الغير المأذونة ـ خطر لابناء بريطانيا الجمهور بين ان ينصبوا تمثالاً لرنان في مسقط رأسه ليوجدوا بين البريطانيين حركة تدفعهم عن المبادىء الاكليريكية الى المبادىء الجمهورية . وهؤلاء الجمهوريون البريطانيون يُدعون " البريطانيين الزرق " تمييزاً لهم عن " البريطانيين البيض " وهم المخالفون لهم في السياسة . فألَّف " البريطانيون الزرق " لجنةً لجمع المال وانشاء التمثال فنشرت اللجنة اعلاناً بغرضها بين جميع مشاهير الارض فوردتها الاموال ورسائل

١ اطلب ترجمته في الجزء الثاني السنة الثالثة

الاشتراك من كل الجهات : وقد كان المشتركون معها من كل الاحزاب العاقلة المتساهلة كاثوليك وانجيليين واسرائيليين وفلاسفة . وفي جملتهم المؤرخ ممسن اعظم علماء الالمان اليوم والعالم جبرائيل مونود اعظم علماء البروتستانت في فرنسا والمسيو ريبو الكاثوليكي الذي امتاز في فرنسا بالعامين الاخيرين بالانتصار للحزب الاكليريكي صوناً لمبداء الحرية والجمهورية وهو من رؤساء الوزارات السابقين . والمسيو والدك روسو المشهور . وكثيرون من علماء الارض من كل البلاد . وكلهم كتبوا الي اللجنة كتباً خلاصتها ان الانسانية وفرنسا يحقُّ لها ان تفتخرا بظهور رجل فيهما نزيه الاخلاق واسع العلم مترفعاً عن دنايا الارض مثل ارنست رنان . وقد جمعت اللجنة هذه الرسائل كلها في كتاب ضخم دعته ,, كتاب رنان الذهبي ,, لانه عبارة عن شهادة له من مئات من اكابر علماء الارض وعقلائهم بصفات علمية وفلسفية وادبية لم تُنسب لغيره من عهد افلاطون . ولذلك دعوه ,, افلاطون المتأخرين ,,

***

﴿ رنان والاحزاب ﴾ ومن البديهي ان الرغبة في نصب تمثال رنان في بريطانيا اسخط الحزب الاكليريكي . فكتب كاهن تريجيه الى شيخ البلدة يقول له انهم اذا جرّوا هذا العار والفضيحة على تريجيه فانه يمتنع عن الدخول الى الشارع الذي يُنصب فيه التمثال حتى اذا حضرت الوفاة احد المسيحيين في ذلك الشارع لم يستطع الذهاب اليه لتزويده بالاسرار المقدسة . فعدلوا حينئذ عن نصب التمثال امام منزل رنان وقرروا نصبه في ساحة الكنيسة امام بابها الكبير . فازداد الخصام والانقسام بين الحزبين في فرنسا كلها وصار اسم رنان عبارة عن راية يتحاربان تحتها

على اننا بعد مطالعة ما طالعناه من كتب رنان يظهر لنا انه لو كان حياً لما رضي باقامة تمثاله في تريجيه بهذه الطريقة وان كان يحب مسقط رأسه حباً بريطانياً كما كان يقول . ذلك لانه كان يحب الحرية والتساهل فوق كل شيء . واقامة تمثاله في تريجيه بتلك الطريقة كانت عبارة عن تحرش بمعتقدات الغير واعتداء عليها . وهذا ما ذكرته الطان البروتستانتية والديبا الكاثوليكية . فانهما قالتا ان رنان كان رسول التساهل وحرية الاعتقاد في العالم ومن كانت هذه صفته لا يرضى عن الاساءة الى معتقد غيره

وتقسم الاحزاب الفرنسوية اليوم الى سبعة (١) الحزب الراديكالي (٢) الراديكالي الاشتراكي (٣) الاشتراكي (٤) الحزب الجمهوري المعتدل المحالف للراديكالي (٥) الحزب الجمهوري المعتدل المستقل ولكنه يميل نحو الحزب الملكي اكثر من الميل الى الحزب الراديكالي

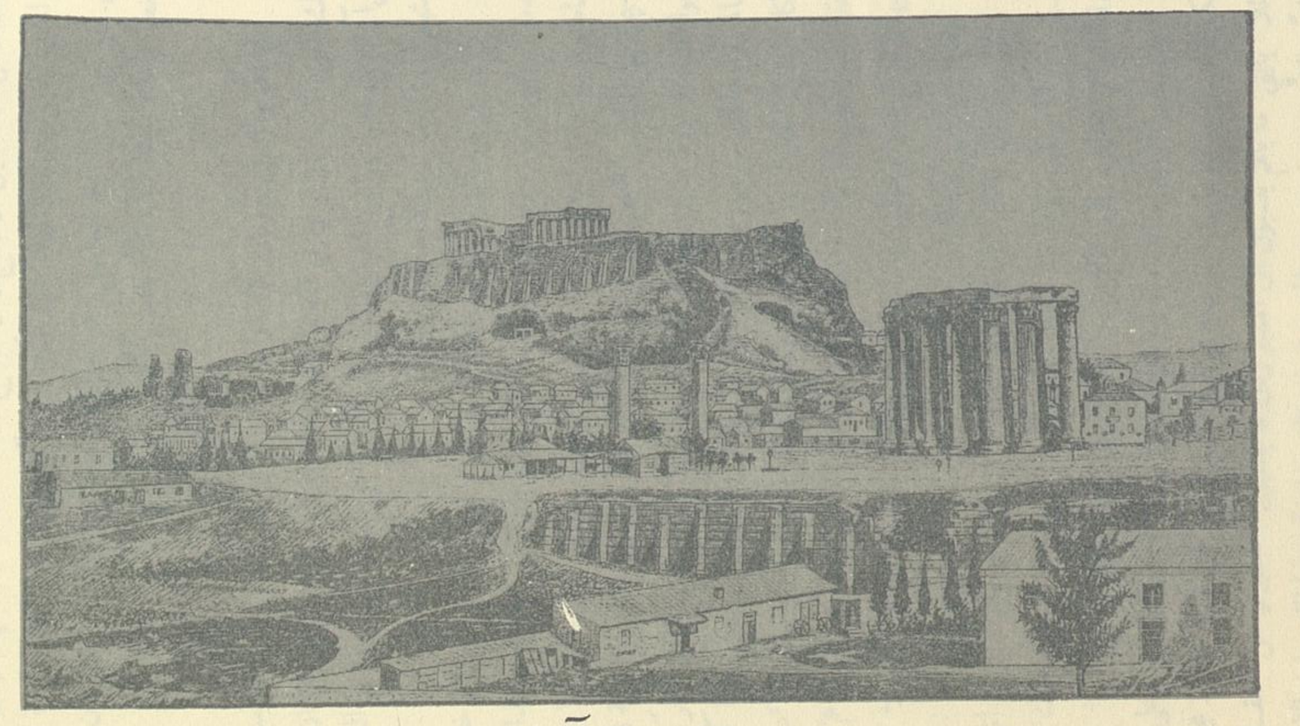
الاشترا كي لخوفه من المبادىء الاشتراكية (٦) الحزب الملكي الاكليريكي (٧) حزب الناسيوناليست — فالاربعة الاحزاب الاولى وهي الاكثرية الكبرى أتَّفت ما سموه " عصبة " واقامت وزارة على مبادئها لادخال الاصلاحات التي ترى لزومها . فهذه الاحزاب الاربعة هي التي كانت تضجُّ في اثناء الاستعداد للاحتفال برنان وتحارب خصومها بالدفاع عنه . فكانت الطان والديبا اللتان هما لسان حال الحزب الجمهوري المعتدل المستقل (الخامس) تضحكان وتقولان لهم ان مبادئ رنان لا تنطبق على مبادئكم

***

رنان والجمهورية ذلك ان رنان عاش ومات بين الاحزاب . فلم يكن منسوباً لاحدها . يروى ان سقراط الحكيم سُئل من اي وطن انت ؟ وربما رام سائله تعييره بذلك لانه كان يدعو الى وحدانية الله وهذه الدعوة مخالفة لتعدد الآلهة عند اليونانيين وكان عندهم من يسيء الى الآلهة فقد اساء الى وطنه . فاجاب سقراط " وطني العالم " — وكذلك لو سُئل رنان في حياته : ما هو حزبك . لاجاب ولا شك : حزبي البشر كلهم لانني اخ لهم جميعاً لا لفريق منهم

وهذا هو السبب في انك ترى في افكار رنان شيئاً كثيراً من التناقض . فانه يبش للملكي والجمهوري . والجاحد والمؤمن . والقديم والحديث . والتعصب والتساهل . ذلك ان فكره واسع رحب يستطيع فهم كل ما في تلك المتناقضات من الجمال والحقائق . فيذكر محاسنها ومساوئها معاً باستقلال تام وانصاف كامل كانه واقف امام الدينونة الاخيرة . وهذا معنى قولنا عنه في صدر الكلام انه مثال الفيلسوف الكامل

ولقد ندّد رنان في الجمهورية والديموقراطية بعد حرب السبعين لان الغلاة اتوا فيها كثيراً من المنكرات التي اغضبته . وفضلاً عن ذلك فذوقه ارستوقراسي نحيف ولذلك كان يودُّ لو تكون حكومة البشر ملقاة الى عصبة من العلماء والفلاسفة ويكون ملكها عالماً ايضاً وغاية في الكمال . ولكنه لما رأى بالخبرة ان العلم يترقى مع الجمهورية اكثر مما يترقى مع الملكيّة لان الجمهورية تُطلق له الحرية والملكية قد تقيده بقيود حديدية صار بفضل الجمهورية . وعلى ذلك فحرية العلم اي حرية الفكر والنشر مقياس الافضليّة عنده . ورأيه في ذلك مبسوط في كتابه (المباحثات الفلسفية) الذي كتبه في آخر حياته . ففي احدى مباحثات هذا الكتاب قصة كاليبان وبروسبيرو . وبروسبيرو هذا هو ملكه العاقل الكامل . واما كاليبان فهو رجل قاصر مشوه الدماغ وهو كناية عن الشعب . فقام كاليبان واسقط بروسبيرو وعن



منظر مدينة آثينا

وفوقها الاكرو بول الذي وقف فيه رنان يصلي الى الالاهة آثينا الصلاة المذكورة في الصفحة ٣٠٥

ملكه وحلّ محلّه قبل ان ينضج رأيه وتصلح حاله . قال رنان « انني احب بروسبيرو ولكنني لا احب الذين يريدون ارجاعه الى ملكه . فان كاليبان (مع حالته القاصرة) ينفعنا اكثر من بروسبيرو اذا عاد الينا على يد الجزويت والجنود الحبرية . ذلك لان عودته تكون ضغطاً علينا لا نهضة لنا . اذاً فلنبق كاليبان »

***

الله والدين ورنان وانما قالت الطان والديبا للاحزاب الفرنسوية المتطرفة ذلك القول لان رنان يرى في الله والدين ما لا تراه هي . ويحسن بنا هنا ان ننقل شيئاً من آرائه في هذه المواضيع الخطيرة لعلّ الذين تعلموا من الغرب سب رنان في الشرق تدعوهم ذمتهم الى الاعتدال والانصاف ولو قليلاً

قالت جريدة الديبا الكاثوليكية ان رنان خدم الروح الديني في العالم خدمة ما بعدها خدمة . فانه هدم « روح فولتير » هدماً . تعني روح التهكم على الاديان والمذاهب واعتبارها اساطير قديمة . وانما هدم رنان تلك الروح بشيئين : الاول اعتماده في كتابته تاريخ الديانة المسيحية على الكتب المسيحية نفسها . والثاني تعليمه الناس احترام الامور الدينية واظهاره جمال العواطف الصادرة عنها . ولذلك قالت جريدة الطان ان الذي نشّط الحركة الدينية في العالم وزادها اتساعاً هو رنان . فان كل قارئ لا يتمالك ان يطير طرباً كلما قرأ ذلك الكلام اللين الحلو الممتلئ روحاً دينياً وتتشبع نفسه منه . وهكذا نشأ متأدّبو العصر على احترام العواطف الدينيّة ووضعها في اسمى منزلة في نفوسهم بعد ان كان لا همّ لهم الا التهكم عليها واحتقارها . وبذلك حلّت « الروح الرنانية » محل « الروح الفولتيرية »

واليك بعض الامثلة لذلك

قال رنان في خاتمة كتابه « اعمال الرسل » ان الانسان حيوان ديّن اي مفطور على الدين . وكلما ارتقت الانسانية ازداد شعوره الديني . وقد شرح ذلك هناك شرحاً وافياً . وهذا الرأي مخالف رأي الماديين والوضعيين على خط مستقيم

وقال في منتخباته ما ملخصه « انه لما كان في غزير (لبنان) نزل ضيفاً على احدى الاسر الكبيرة هناك . فلما قامت الضوضاء في فرنسا بسببه دعا كبير تلك الاسرة نجلاً له وسأله قائلاً يابني ما بالهم ينسبون الى المسيو رنان ما ينسبون . اخبرني عن اعتقاده . وانبدأ اولاً بالأب . هل يعتقد بالله . فاجاب الفتى : اما في هذا فانه وطيد الايمان . فاجاب ذلك الشيخ الكريم : هذا شيء كثير هذا شيء كثير » وقد اورد رنان هذه القصة لاثبات ايمانه

وحدّث في الشهر الماضي احد كتّاب الدبيا فقال : بعد دفن اخت رنان في جبيل (لبنان) كان رنان يستدعي الكهنة لاقامة القداسات عن نفسها . ولما قيل له في ذلك اجاب انني استنزل عليها بركة شيوخ صالحين كهؤلاء الشيوخ واحول بذلك دون اهانة قبرها بعد سفري اذا سُمع هنا عني شيء يكرهونه

وقال في مقدمة كتابه ،، اوراق منثورة ،، ،، هل الحاجة الابدية التي في ضمائرنا الى ما وراء الطبيعة هي وهم وخيال ؟ كلا ثم كلا . فان من ينفي ذلك نفياً قطعياً مَثله مثل من يُثبت ذلك اثباتاً قطعياً . لانه اذا كان لم يثبت عقلياً ان للكون نفساً فايضاً لم يثبت انه ليس هنالك نفس له . فكل ما نعلمه اننا لا نعلم شيئاً . هذا كل ما نقدر ان نقوله عما وراء الطبيعة . فلا ننكرنّ شيئاً ولا نثبتن شيئاً . بل فلنتمسك بالامل ،،

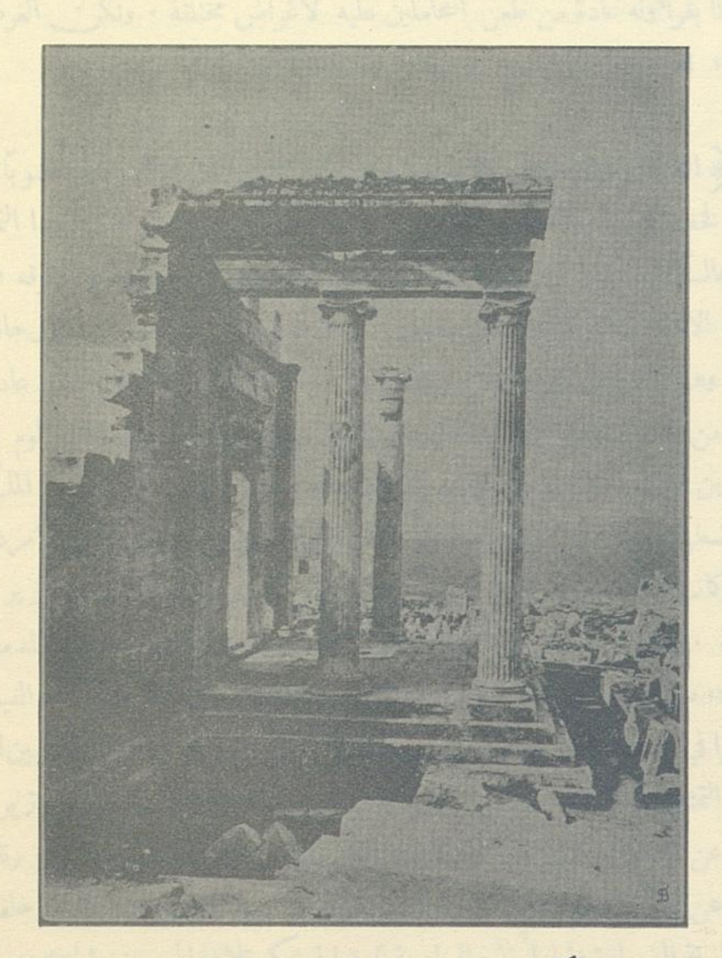
وقال في موضع آخر « ان نفسي ستسكن بعد وفاتي في خرائب كنيسة القديس مخائيل بشكل طائر البحر الابيض . وسيبقى هذا الطائر حائماً في الليل حول ابواب الكنيسة ونوافذها تائهاً عن المدخل شاكياً متألماً . وهكذا تبقى نفسي المسكينة حائمة متألمة حول هذه الاكمة الى الابد . فيقول عنها الفلاح حين مروره بها انها نفس كاهن يطلب الدخول الى الكنيسة لتلاوة قداسه » قال محرر الدبيا بعد ايراده هذه الشذرة « ولكن يا للاسف انه لا يجد ابداً اولاداً يخدمون هذا القداس »

والآن اليك ما قاله في معلميه واساتذته وكلهم من رجال الاكليروس لانه كان راهباً في شبابه ،، كان اساتذتي يعلمونني ما هو افضل من الانتقاد والاستنباط الفلسفي . ذلك انهم كانوا يعلمونني حب الحقيقة واحترام العقل والمعيشة الجدية . وهذا هو الشيء الوحيد الذي لم يتغيّر فيّ . ولقد صرت بتربيتهم لا اقدر على شيء من الحياة الزمنية فانصرفتُ الى الحياة الروحية . وصرت ارى كل عمل مأجور عملاً دنيئاً . فيا اساتذتي الاعزاء الذين مات اكثرهم الآن . انني اراكم احياناً في احلامي ولكنني اراكم كتذكار حلو عندي لا كتبكيت وتوبيخ . فانني لم اخنكم بقدر ما تظنون . نعم قلتُ ان تاريخكم غير كافٍ وفلسفتكم اضعف من الفلسفة التي تعلمنا ان لا نقبل ،، شيئاً خاصاً وراء الطبيعة ،، ومع ذلك فانني لا ازال تلميذاً لكم . فانني مثلكم اعتقد ان الحياة لا قدر لها ولا قيمة الا بصرفها في الاخلاص والحقيقة والخير . الا انكم تفسرون هذا الخير تفسيراً ضيقاً وتجعلون هذه الحقيقة مادّية مجسمة وان كنتم مصيبين من حيث اساس الموضوع . فانا اشكركم لانكم طبعتم فيّ كطبيعة ثانية ذلك المبدأ الذي قد يمنع نجاح الانسان الدنيوي الا انه ينيله السعادة



التمثال الذي نُصب لرنان في فرنسا

(رنان في نحو الاربعين جالس على مقعد في وطنه تريجيه كما كان يجلس في حياته يتأمل في الكون والانسان · وفوقه الالاهة آثينا الاهة الحكمة والعقل تتاهب لتكليله باكليل المجد · وهي الالاهة التي صلّى اليها رنان الصلاة المنشورة في ما يلي لما زار هيكلها في الاكروبول في آثينا)



احد هياكل الاكروبول مصوّرة عن قرب وتظهر فيه دقة الصناعة اليونانية

والراحة وهو ان الانسان عليه ان ينصب امامه غرضاً شريفاً يسعى اليه في الحياة سعياً مجرداً عن المصلحة الخصوصية »

هذه هي مبادئ رنان وافكاره الدينية ولا ريب ان كثيرين من القراء يدهشون من بعضها لما يقرأونه عادة من طعن المتحاملين عليه لاغراض مختلفة . ولكن الغرض مرض لا دواء له

***

﴿ التمثال والاحتفال ﴾ ولما دخل ١٤ سبتمبر كان تمثال رنان منصوباً في ساحة تريجيه نخف الوزراء والعلماء والكبراء في فرنسا للاحتفال برفع الستار عنه . وهذا التمثال يمثل رنان جالساً على مقعد في تريجيه كما كان يجلس عادةً وهو في سن الستين وفوقه « بالاس آثينا » الاهة الحكمة عند اليونان تحمل اكليلاً لتضعه على رأسه وقبعته الى جانبه وعصاه في يده وهو غائص في بحر التفكر والتأمل في الحياة والكون والانسان حسب عادته . وهذا التمثال من صنع النقاش جان بوشه . وقد قامت تريجيه وقعدت في ذلك اليوم لكثرة المتوافدين عليها . وحدث بين حزب رنان والحكومة وبين الحزب الاكليريكي الملكي شيء من الاضطراب ولكن من حسن الحظ غلّب الفريقان العقل على الجنون فانتهى الامر على احسن حال . وكانت الحفلة تحت رئاسة المسيو كومب رئيس الوزراة والمسيو شوميه وزير المعارف العمومية . ولما رُفع الستار عن التمثال صفق الحاضرون وهتفوا فتلت حينئذ المدموازل مارينو « صلاة رنان على الاكروبول » التي ترجمناها بعد وهي ابلغ ما كتبه الفيلسوف . ثم شرعوا في الخطب . وهي ست (الاولى) للمسيو كيس رئيس جمعية « البريطانيين الزرق » صاحبة التمثال . (والثانية) للمسيو كيلرم شيخ تريجيه (والثالثة) للمسيو شوميه وزير المعارف بالنيابة عن الحكومة والجمهورية (والرابعة) للمسيو برتلو الكيماوي المشهور صديق رنان الحميم بالنيابة عن جمعية العلوم (والخامسة) للمسيو اناتول فرانس الكاتب الكبير الذي خلف رنان في فرنسا برقة العبارة والجرأة (والسادسة) خطبة شكر تلاها المسيو بسيشاري صهر رنان . وكانت قرينته مدام بسيشاري ابنة رنان حاضرة الى جانبه

***

﴿ صلاة رنان على الاكروبول ﴾ قلنا انه تلي في الاحتفال « صلاة رنان على الاكروبول » والاكروبول قلعة اثينا القديمة وهي مزينة بالهياكل وتماثيل الالهة بينها تمثال الالاهة « آثينا » ابنة جوبيتير الاهة العقل والحكمة . وهذه الالاهة كانت حامية اثينا عند

اليونان وباسمها سميت المدينة . فلما زار رنان اثينا في عام ١٨٦٥ وشاهد جمال هذا التمثال البالغ حد الكمال دُهش واصبح يعتقد بان الكمال من هذا العالم حتى لقد سمى تلك المصنوعات «معجزات يونانية» حقيقية وصار يستصغر كل تمدن دون تمدنها . ولاعجابه بها كتب الصلاة التي تقدم ذكرها . وقد تطرف رنان في هذه الصلاة لانه كان يخاطب «الاهة العقل» بالعقل فقط اي انه وضع القلب جانباً كما قال فيها . وان هذا القلم قد سجد عشرين مرة لقلم رنان الساحرحين ترجمتها لعله يغفر له تقصيره في نقل ابلغ كلام صاغته نفس بشرية . وهذه ترجمتها ملخصة طبقاً للاصل الا في موضعين او ثلاثة اختصرناها فراراً من التطويل

من رنان الى الاهة العقل والحكمة

وهي الالاهة «آثينا» المصوّرة في صدر الجزء تكلل الفيلسوف

«يا مثال النقاء والجمال الساذج الحقيقي . يا ايتها الالاهة التي يُتقرّب اليها بالحكمة والعقل . يا من هيكلها عبارة عن مثال ابدي للاخلاص والمعرفة . لقد ابطأت في الوصول الى هيكل اسرارك . وانني جئت اليك بضمير متألّم . ولم اتوصل اليك الا بعد ابحاث لا نهاية لها . انك كنتِ بابتسامةٍ منكِ تمنحين الاثينوي حين ولادته قوة معرفتك والاشتراك معك اما انا فما حصّلتُ هذه القوة الا بالتفكر والجهد الشديد

لقد ولدتُ ايتها الالاهة ذات العينين الزرقاوين في بلاد السيميريين وهم قوم كرام فضلاء يسكنون على شاطئ بحر مزبد مغطى بالصخور . وكان اجدادي يشتغلون بالسفر في الابحار البعيدة التي لم يصل اليها قومك الارغونوتيون . ولما كنت صغيراً كنت اسمع منهم الاغاني التي كانوا ينشدونها في الاسفار القطبيّة . فشببت عليها وعلى اقاصيص الثلوج المتحركة والابحر التي يغطيها الضباب كانها من اللبن والجزر المأهولة بطيور تنشد في اوقات معينة وتطير الى الفضاء معاً فتحجب وجه السماء

وقد رباني كهان دين غريب جاءنا من سوريي فلسطين . وكان هولاء الكهان عقلاء حكماء فعلموني قصصاً طويلة عن «خرونوس» الذي خلق الكون وعن ابنه الذي جاء العالم كما قالوا . اما هيا كل هؤلاء الكهنة فهي اعلى من هيكلك ثلاث مرات وهيئتها كهيئة حرش ولكنها ليست وطيدة لانها تنهدم كلما مرّ عليها ٥ او ٦ مائة سنة . فهي من صنع البرابرة (١) الذين يظنون انه يمكن صنع شيء ثابت بغير القواعد التي وضعتيها يا الاهة العقل . ولكن تلك الهيا كل كانت تعجبني . فانني لم اكن درست فنّك الالهي بعد . فضلاً عن

(١) كان قدماء اليونان يسمون برابرة كل من عداهم من الناس

انني كنت اجد « الله » فيها . وكانوا يغنون فيها اغاني ما زلت اذكر بعضها . منها « السلام عليكِ يا نجمة البحر . . يا ملكة الذين يتألمون في هذه الدنيا دار الدموع » او « يا وردة رمزية . يا برج العاج . يا بيت الذهب . يا نجمة الصباح » ـ انظري ايتها الالاهة . انني حينما اتذكر هذه الاغاني يتفطر قلبي حنوًا واكاد اجحدك . فصفحًا عن هذا الضعف المضحك . انك لا تقدرين على فهم السحر الذي اودعه السحراء البرابرة في هذه الابيات الشعرية ولا ان تدركي مبلغ ما اعانيه حين سماعها لاتمكن من اتباع العقل المجرد وحده

ثم انك لا تعلمين كم صارت خدمتك صعبة في الارض . فان كل استقامة ذهبت منها . وقد ملك السكيثيون (١) العالم ولم تبقَ فيه جمهوريات مؤلفة من اناس احرار . بل كل ما فيه ملوك خرجوا من دم ثقيل . جلالات لو وقع نظرك عليهم لضحكتِ منهم . وكذلك مدعون ثقلاء يسمون ،، خفيفي الرأس ،، كل من يخدمك . وقد تألف من كل الصغائر والدنايا عصبة طوقت العالم بلفائف من رصاص تكاد تخنق النفوس . حتى الذين هم انفسهم يخدمونكِ كم هم يستحقون شفقتك . هل تذكرين ذلك المكدوني الذي جاء منذ ٥٠ عامًا وحطم هيكلك بالمطارق ليحدله الى ،،طوله،، ؟ ان جميع الذين يخدمونك اليوم يصنعون صنعه . . . فلقد كتبت بحسب القواعد التي تحبينها ايتها الالاهة تاريخ حياة الاله الشاب الذي خدمته في صباي فعاملوني معاملة افيميروس . وقد صاروا يكتبون لي و يسألونني ماذا اقصد بذلك . فكأنهم لا يرون فائدة الا في ما يثمر لهم ثمرًا ماديًا . ولكن يا ايتها السماء . اسألك لماذا يكتب الناس تواريخ الالهة . اليس ذلك لتحبيب ما فيهم من الروح الالهي الى الناس واظهار ان هذا الروح لا يزال حيًا في قلب الانسانية وسيبقى فيه الى الابد

او تذكرين ايتها الالاهة ذلك اليهودي الصغير الدميم الذي كان يتكلم يونانية السوريين والذي جاء الى هنا في عهد ديونيزودوروس فطاف في ساحات هياكلك دون ان يفهمك وقرأ النقوش التي على آثارك قراءة معكوسة فظن انه وجد في دائرتك مذبحًا مقامًا ،، لاله مجهول ،، ـ الا فاعلمي الآن ان هذا اليهودي قد تغلب على العالم . ولقد انقضى الف سنة يا ايتها الحقيقة وهم يسمونكِ وثنًا . لقد انقضى الف سنة والعالم شبيه بقفر قاحل لا تنبت فيه زهرة . ففي ذلك الزمن كنتِ ساكتة خرساء يا نفير الفكر البشري . وكان من يحبك حينئذٍ يُحسب جانيًا يا الاهة النظام ومثال القرار السماوي . حتى اليوم وقد

(١) السكيثيون قبائل متوحشة كانت في عهد اليونان

افرغنا الجهد للاقتراب منك بعد متاعب شاقة صاروا يتهموننا باننا جنينا على العقل البشري بكسرنا قيوداً كان افلاطون نفسه في غنى عنها

انت وحدك فتية طاهرة نقية ايتها العذراء الجميلة . انتِ وحدك قوية يا الاهة النصر . انت وحدك تحفظين المدن وتحرسينها . فان لك من « المريخ » كل ما يلزمك من القوة . ولكن لا غرض لك غير السلام . فيا واضعة الشرائع العادلة . يا ايتها الديموقراطية التي مبدأها الاساسي ان كل خير هو آتٍ من الشعب وان كل مكان ليس فيه شعب يوحي الى النفوس عظائم القرائح فليس فيه شيء — علمينا كيف نستخرج « الماس » من الجموع الجاهلة . ويا عناية جوبتير . يا امّ كل الصنائع . يا حامية العمل . يا ايتها الحكمة ابنة زفس المتحدة في جوهر ابيها . يا ايتها النار التي تشعل نفوس الابطال واصحاب القرائح العظمى . اجعلينا روحيين نفساً وجسداً . — يا ايتها الالاهة . لما تخاصم فيك الاثينويون والرودسيون اخترتِ الاقامة بين الاثينويين لانهم اكثر حكمة . فانزل ابوكِ على الرودسيين الاله بلوتوس في سحابة ذهبية مكافأةً لهم على اجلالهم ابنته . فصار الرودسيون اغنياء . اما الاثينويون فانهم صاروا حكماء واكتسبوا البشاشة والذكاء اي اكتسبوا السرور الابدي وطفولية في القلب دائمة

ان العالم ايتها الالاهة لا يخلص الاّ اذا عاد اليكِ ونبذ صلاته البربرية . فلنركض اليكِ ولنأتِ افواجاً افواجاً . يا له من يوم جميل يوم تأتي كل المدن التي اخذت انقاض هيكلك كالبندقية (فنيسيا) وباريز ولندن وكوبنهاغ وترد تلك السرقة معتذرةً بقولها « عفواً ايتها الالاهة ما اخذناها الا لحمايتها من شياطين الليل » وهكذا يعيدون بناء جدرانك على نغم المزمار تكفيراً عن جناية ليزاندرس (١) ثم يقصدون سبارطة للعن تلك الارض التي صدرت عنها اغلاط مظلمة ويهينونها لانها لم تعد موجودة

انني اؤمن بك ايتها الالاهة ومتى كنت قوياً فيك فانني اقاوم كل نصح يغرني . اقاوم ارتيابي الذي يجعلني اشكّ في الشعب . اقاوم اضطراب فكري الذي كلما وجد الحقيقة لا يكتفي بها ويدفعني الى البحث عنها ايضاً . اقاوم هوسي الذي يمنعني من الرضى بحكم العقل كل ما حكم العقل حكماً قاطعاً ويحرم نفسي الراحة . فيا مثال الكمال الذي يبثه اصحاب القرائح العظمى في مصنوعاتهم الكبرى انني افضّل ان اكون الاخير في منزلك على ان اكون الاول في سواه . فاعلمي انني سأوقف نفسي على خدمتك واربط روحي في هيكلك . سانسى كل

(١) هو قائد اسبرطي تغلب على الاثينيين

نظام غير نظامك واجعل غرفتي بجانب غرفتك . بل اعظم من ذلك انني ساجعل نفسي (اذا قدرتُ) متعصباً متحيزاً اكراماً لك . فلا احب شيئاً غيرك . وهوذا انني ساتعلم لغتك وانسى كل لغة سواها . ساكون ظالماً لكل شيء لا يتعلق بك . ساجعل نفسي احقر خادم لاحقر ابنائك . سامدح سكان ارضك واحب فيهم كل شيء حتى عيوبهم . ساقنع نفسي بانهم من سلالة اولئك الفرسان الذين يحتفلون فوق على رخام نقوشك بعيدهم الابدي . ساسلخ من قلبي كل شيء لا يكون عقلاً وصناعة مجرَّدة . ساعدل عن حب امراضي والارتياح الى الحمى التي تحرقني . فساعديني يا ايتها الالاهة وانقذيني

ولكن كم من المصاعب تعترض طريقي . فانني ساضطر الى تغيير عادات عقلية كثيرة ونبذ تذكارات جميلة من نفسي . فساجرب ذلك وان كنت غير واثق من نفسي . ذلك لانني ابطأت في معرفتك يا ذات الجمال الكامل فاخشى ان يعاودني ضعفي . ان فلسفة فاسدة جعلتني اعتقد ان الخير والشر . واللذة والالم . والجميل والدميم . والعقل والجنون ـ كلها تتحول وتتداخل بعضها في بعض بطرق خفية لا تُدرك كما ان الناظر لا يدرك مطاوي عنق الحمامة . وحينئذٍ تصير الحكمة في ان لا يحبّ الانسان شيئاً مطلقاً ولا يبغض شيئاً مطلقاً . فانه لو كانت احدى الهيئات الاجتماعية او احدى الديانات او احدى الفلسفات قد حازت الحقيقة المطلقة لكانت تغلبت على ما بقي وعاشت وحدها في عصرنا الحاضر . اذاً فكل الذين ظنوا ان الحقيقة في جانبهم منذ البدء حتى اليوم قد اخطئوا في هذا الظن وهذا امر واضح كل الوضوح . فهل من الحكمة ان نعتقد نحن في نوبتنا ان الحق في جانبنا وان المستقبل لا يحكم علينا كما نحكم على الذين تقدمونا . ـ هذه هي المسبّة التي تجول في فكري الفاسد . ان الاشياء اذا كانت صحيحة سليمة من كل جهة مثالك فانها تدعو الى الملل والسآمة

انكِ تضحكين من سذاجتي . ولكن قلت واقول الملل والسآمة . فان عقولنا فسدت وما الحيلة . بل انني اقول لك اكثر من ذلك ايتها الالاهة المستقيمة واطلعك على حقيقة فساد قلبي . عندي ان العقل وسلامة الحكم لا يكفيان . لان في نشوة « التراس » وجليد « السترِيمون » شيئاً من الغزَل لا يوجد في سواها . وسيأتي زمن يكون فيه تلامذتك تلامذة السآمة . ان العالم اكبر مما تظنين . ولو انك شاهدت ثلوج القطب واسرار السماء الجنوبية فان جبهتك لا تكون صافية هادئة الى هذا الحدّ . ورأسك حينئذٍ يتسع اكثر فيسع ضروباً من الجمال مختلفة

انت الحقيقة . انت كاملة نقية لا لطخة على بِلاطك . ولكن هيكل هاجيا صوفيا في

بيزانس (١) بآجره وجدرانه يُحدث في النفس تأثيرًا الهيًا مثلك . فانه رمز الى قبة السماء . ومع ذلك فانه سينهدم . ولو كان بيتك واسعًا حتى يسع الجموع مثله لانهدم ايضًا . ان نهرًا واسعًا يحملنا كلنا الى هاوية النسيان الهائلة . فيا ايتها الهاوية .. ان دموع كل الشعوب دموع حقيقية . واحلام كل الحكماء فيها شيء من الحقيقة . وكلُّ شيءٍ في هذه الارض ليس الا رمزًا وحلماً . فان الالهة تمرّ وتذهب كالناس . وليس يحسن ان تبقى ابدية . والايمان الذي كان للانسان لا يجب ان يكون له قيدًا . فانه متى لفه باعتناء في الكفن الارجواني الذي ترقد فيه الالهة الميتة يكون قد وفاه حقاه »

هذه هي صلاة الاكروبول التي هي اشهر ما كتبه رنان . ومما يحسن ذكره هنا ان جمعية العلوم في باريز ارسلت الى اثينا في العام الماضي احد اكابر المصوّرين الباريزيين فصوّر في الاكروبول رنان بحجمه الطبيعي واقفاً امام الالاهة (اثينا) وباقي الآثار يتلو لديها صلاته المذكورة

***

﴿ جواب الالاهة على صلاة رنان ﴾ وقد ذكرنا ان المسيو اناتول فرانس الذي خلف رنان بفرنسا في رقة العبارات وعذوبة الالفاظ قد خطب في جملة الخطباء . ففي ختام خطبته التي كانت في غاية الجمال جعل الالاهة اثينا تجاوب على صلاة رنان بالجواب التالي

« ايها السادة

« لقد اصاب النقاش الذي وضع "آثينا" بجانب رنان . فان هوميروس يخبرنا انها كانت تنزل من السموات الواسعة لتزور الرجال الذين كانت راضية عنهم . وقد زارت عولس غير مرة . وكأنني الآن اسمعها تخاطب صديقها الارضي وتقول

انني الحكمة . ويصعب على الناس حتى افضلهم ان يعرفوني لاول وهلة بسبب الحجب والسحب التي تسترني لانني كالسماء غائمة صافية . اما انت يا ايها السلتي الظريف فانك طلبتني دائمًا وكلما وجدتني بذلت جهدك في معرفتي . فكل ما كتبته فيَّ ايها الشاعر حقيقي . ان قريحة اليونان انزلتني الى الارض . ولما قضت خرجتُ منها . فجاء بعدهم البرابرة واجتاحوا العالم . وكانوا يخافون الجمال ويحسبونه شرًا . فلما رأوني جميلة شكوا فيَّ ولم يحسبوا انني الحكمة . فطردوني . ولكن بعد ليلٍ دام عشرة قرون بزغ فجر النهضة . فنزلت الى الارض

«١» هو اليوم جامع آجيا صوفيا في الاستانة

وزرت نصراء الانسانية والفلاسفة في غرفهم الضيقة حيث كانوا يصونون بضعة كتب جميلة في باطن الصناديق . وكذلك زرت المصورين والنقاشين في معاملهم التي كانت حينئذٍ حوانيت صغيرة . ولما حدث الاضطهاد فضَّل بعض انصاري الموت حرقاً بالنار على جحودي . والبعض الآخر تخلصوا من مضطهديهم بالتهكم والمزاح . ولكنهم لم يلبثوا ان نموا وتكاثروا شيئاً فشيئاً . وكان الفرنسويون اول من اقام لي الهياكل . وان قرناً بجملته من تاريخهم قد اهدي اليَّ

ومنذ ذلك الحين صار الفكر حرًا وأقبل الفلاسفة والعلماء وارباب الفنون على اكرامي . ولكنك انتَ من بينهم كلهم قدمتَ لي على ما اظن العبادة التي هي اشقّ ما يكون وارق ما يكون . ومنك انتَ رُفعتْ اليَّ الصلاة التي هي أنقى صلاة واحرّها . فانك على اكروبولي المقدَّس حيَّيتني اجمل تحية بكلام لم يُصغْ مثله في الارض منذ ذلك الزمن الذي كانت فيه نحل الحكمة تلقي عسلها على شفاه سوفوكلوس وافلاطون

ان الآلهة الخالدة مديونة بشيءٍ كثير للذين يعبدونها . وهي مديونة لهم قبل كل شيءٍ بالحياة . وهذا سرٌّ قد عرفته انت . فان الآلهة انما تستمد غذاءها من الناس . وهي تغتذي من البخار المتصاعد عن دماء الفريسة . ولا ريب انك تعلم ان المقصود بذلك ان حياتها مؤلفة من جميع افكار البشر وعواطفهم . فالناس الكرام الصالحون تكون آلهتهم كريمة صالحة . اما الالهة الشرسة القاسية فلا تكون الاَّ للذين تكون عواطفهم وتقدماتهم كذلك . وحقاً قلتَ : ان الآلهة كالبشر غير خالدين . ومنها ما لا يعيش اكثر من الفي سنة

واما انا الالاهة «آثينا» ذات العينين الصافيتين فانني مديونة لك بانني ما زلت حية . ولكني ما كنت لاكتفي فقط بالحياة وطول العمر . فانني اشفق علي الآلهة التي في خلال البخار وبقايا البخور تجرُّ ذيل الهبوط . بل انك زدت في جمالي وعظمتي . لقد غذيتني من قوتك ومن مبداك . وبكَ وبمن يشبهك اتسعت دائرة عقلي حتى صار يسع عالمَ كبلر ونيوتن

لقد ولدتُ ذكيةً في بلاد اليونان السعداء . وفي صباي اكتشفت من النواميس والشرائع ما لم يعلم به الاله الذي طردني . ولكن العالم كان يومئذٍ صغيرًا . فانني ما كنت اعلم من الهندسة الا ما كان يعلمه اقليدس ولا من الطب الا ما كان يعلمه ابوقراط ولا من علم الفلك الا ما كان يعلمه اريسترخس من جزيرة صاموس . ولم تكن عيناي تقعان الاَّ على بحر الاتييك وجباله البنفسجية التي ينمو الزيتون فيها . ولم اكن اعرف من البرابرة غير

السكيثيين . وكنت اظن ان السفن الفينيقية الراسية في مياه البيره هي تجارة الدنيا كلها .
وقد كنت متشرعة فانني من شاهق صخرتي المقدسة هذه كنت احكم على بضعة الوف من
الاحرار البلهاء . وكانوا يصورونني على كتب القضاء بجمال جامع بين السذاجة والرقة وهو لا
يزال يفتن ناظريه حتى اليوم . نعم يا رنان . انني استحق الاسماء التي سميتني بها .
كالاهة السلام . وحامية العمل . والديموقراطية . والنصر . ولكن قل لي اية نسبة بين
مدننا القديمة والامم العظمى التي في هذا العصر . فالحكماء اليوم قد كشفوا عن ناظري
واروني ما لا نهاية له من العوالم . فرأيتُ على ارضٍ ترتجف من نفخ البخار وصدم الكهرباء
اممًا عديدة عددها مليار وستمائة مليون شخص كانت امس بعضها اعداء لبعض وهي اليوم بعضها
اقرب من بعض مما كانت وكلها مندفعة للعمل في الصناعة والعلم يشتغل بعضها لبعض او
بعضها ضد بعض متحاسدة متباغضة متزاحمة

ولكن ترى كيف تكون نهاية هذا الزحام والنزاع بين كل تلك القوى المتعددة والاهواء
المختلفة ؟ من يكون الغالب في الخاتمة ؟ الحب ام البغض ؟ الجهل ام العلم ؟ الحرب ام السلم ؟
الهمجية ام المدنية ؟ قوات الذين سميتهم « ملوكاً خرجوا من دم ثقيل » ام قوة
الديموقراطية ؟ — لا تسلني عن ذلك يا رنان . فان المستقبل محجوب حتى عن الذين
يصنعونه . لا تسل كيف تكون حالة المستقبل ولكن كن على ثقة من انني سابنيه وحدي .
ذلك لانه لا مهندس ولا بنّاء غيري . ولم يستدعني الفلاسفة والعلماء الى الارض عبثاً .
فانه بينما يشتغل الجبابرة اعداء الآلهة العادلة بصنع الاسلحة ووضع الجبال بعضها فوق بعض
ابني انا مدينة المستقبل المقدسة وان كان الحكماء انفسهم لا يرون ذلك ويشكّون في انني ابنيها .
ولكن المستقبل سيعرف ابنيتي هذه من قوتها ومتانتها لان مباني الجهل والضلال لا تلبث
ان تنهدم من نفسها . وانك ذكرت ذلك يا رنان وقلت ان لا شيء يدوم و يبقى الا اذا
كان منظماً بيديَّ بحسب قواعدي . ذلك لانني امُّ الاحتياط والنظام . ذلك لانني
فكر كل ذي فكر وعلم كل ذي علم . بل فكرك وعلمك يا صديقي رنان

فكن مطمئناً واقتبل الآن من يدي غصن الذهب الذي استحقه جدك وكدك . عش
مجّداً معظماً في انقى القلوب واقوى النفوس . احيَ فيَّ لاحيى فيك يا اعظم اصدقائي . فلقد
نلتَ الخلود الذي كنت تصبو اليه . وكل ما ابرزتْه نفسك من الجمال والخير لا يذهب
شيء منه سدى بل يبقى الى الابد . فان الانسانية لا بدَّ ان تحقق احلام الحكماء شيئاً
فشيئاً وان كان سيرها بطيئاً » — انتهت خاتمة المسيو اناتول فرانس

الخاتمة

هذا ما رأينا ذكره عن الفيلسوف رنان في هذا الفصل . وليس غرضنا منه سوى الاشتراك في اكرام هذا الفيلسوف العظيم الذي خدم البشر في الارض بكل قوى عقله الفائق وفطرته الخارقة العادة وان كان قد تطرف في ذلك تطرفاً حسابه بينه وبين الله وحده

وان قيل ما فائدتنا من هذه المقالة فالجواب لنا فيها فائدتان مهمتان . (الاولى) من حيث لغة رنان (والثانية) من حيث فلسفته

﴿ الفائدة الاولى ﴾ اما الفائدة الاولى وهي من حيث اللغة فهي لا تخلو من اهمية للكتاب الشرقيين . ذلك ان رنان من حيث اللغة هو ممثل الكمال والجمال فيها بين جميع كتاب العالم . فلغته ارق وابلغ لغة خطها بنان انسان والفرنسويون كلهم مجمعون على انه ابلغ كتابهم من يوم وجود اللغة الفرنسوية الى اليوم . ولكن بلاغة رنان خاصة به . فان الطفل يقرأ كلامه ويفهمه بسهولة دون ان يحتاج ان يفتش عن كلمة في قاموسه . وكان رنان حينما يبالغون في الاعجاب بلغته الحلوة السهلة البسيطة يتعجب من مبالغتهم ولا يفهم اعجابهم هذا . وسبب ذلك ان هذا الاسلوب كان طبيعياً فيه وبما انه لم يكن يتعب في صوغه فقد كان يستهينه و يظنه امراً سهلاً على غيره . فبلاغته اذاً كانت مصوغة من مادتين : الاولى الفاظ سهلة بسيطة مألوفة الاستعمال يفهمها كل الناس حتى الاولاد والاطفال . والثانية رقة خصوصية في نفسه تبث الحياة في تلك الالفاظ وتجبلها بحلاوة تسكر النفوس ولو كان الموضوع من اصعب المواضيع الفلسفية والتاريخية والعلمية مبقيةً له كل ما يلزم من السهولة والبساطة لسرعة الفهم

وعلى ذلك فحقيقة البلاغة ليست في قواميس اللغة وكتب الادب ليذهب الطلاب و يفتشوا فيها عنها بل هي في الطبيعة نفسها اي طبيعة الكون الجميلة وطبيعة نفس الانسان اي في باطنه . فمن لا يملكها في نفسه فعبثاً يطلبها في الكتب . فانها حسناء ذات دلال لا تُنسى الاّ مرة واحدة وذلك حين نزول الانسان من جوف امه . فالبلاغة اذاً عبارة عن حسن فطري باطني اي نفسي كما ان حسن الوجه حسن خارجي . وربما كان هنا شيئاً من الفرق والاختلاف بين البلاغة الافرنجية والبلاغة العربية لاعتماد هذه على الالفاظ وتنميقها اكثر من اعتماد تلك على ذلك . واذا كان هذا الرأي صحيحاً فهو عثرة في سبيل البلاغة العربية ، ولكن من حسن الحظ ان هذه العثرة قد اخذت تزول بعد ان طما على اللغة العربية سيل البلاغة اليونانية في عصر النهضة العباسية والاندلسية الاولى وبلاغة الافرنج في هذا العصر وان

كانت هذه مصدرها تلك ايضاً . ولذلك صار اصحاب الذوق يستملحون البلاغة الافرنجية كصلاة رنان على الاكروبول المنشورة آنفاً وغيرها . وفي الحقيقة ان هذه الصلاة الفلسفية هي ادل الاقوال على حقيقة البلاغة الافرنجية . ويا ليت الذين يختارون بعض الترجمات السقيمة لافكار بلغاء الافرنج ثم يحكمون بركاكة لغتهم بالنسبة الى اللغة العربية يجيلون النظر في معاني رنان في صلاته هذه وحينئذٍ يعرفون حقيقة البلاغة فتعاف نفوسهم بعدها كل لغة لا تكون قريبة منها كما يعاف آكل السكر الثمر المزّ بعده . ويعلم حينئذٍ الذين ينسبون الى اللغة العربية القصور عن مجاراة لغات الافرنج انهم ظلموها بذلك لان القصور هو في اسلوبها البدوي القديم الذي لا ينطبق على حاجات العصر لا فيها نفسها . لانها لم تخرج عن كونها لغة ساميّة رقيقة يعبَّر بها عن كل العواطف الجميلة متى هُجر ذلك الاسلوب وحلّ محله الاسلوب الذي سموه « افرنجياً » وهو في الحقيقة طبيعي ازلي لانه سبق الافرنج واليونان والرومان ووجد مع الانسان اول بلاغته

﴿الفائدة الثانية﴾ هذا ما نستفيده من حيث اللغة من قراءة هذا الفصل حين الوقوف على كلام رنان الساحر . اما ما نستفيده من حيث فلسفته فهو اهمّ من ذلك بكثير

قال رنان في آخر حياته في احدى خطبه وهو من اشهر اقواله . « وددت لو يكون قبري في وسط دير . ولكن الدير فرع عن الكنيسة والكنيسة لا تريدني وان كانت مخطئة في ذلك . واودّ ان يحفروا على قبري هذه العبارة « لقد احبَّ الحقيقة » أجل انني احببت الحقيقة وطلبتها وسعيت وراءها الى حيث كانت تدعوني دون ان التفت الى ما اعانيه في سبيلها . ومما لا يحتاج الى بيان ان سرّ الكون لم ينجلِ لاحد بعد . وليس هنالك احد على ثقة من انه وجده . فان اللانهاية التي تحيط بنا وتضغط علينا لا يحيط بها علم وهي تتملص من كل حدٍ وقيد . ولكن هنالك شيء واحد يستطيع الانسان تأكيده ويكون على ثقة منه وهو حسن نية القلب . ولقد عملت ما عملتُ بحسن نية . واذا اقسم على صدق هذا القول بوقفي الاخير في يوم الدينونة » وقال في موضع آخر « متى وجدتُ في اثناء بحثي تعليماً او مبادىء تعترضني وتسد الطريق في وجهي فانني احكم عليها بالضعف واعرض عنها لانني اريد اللانهاية ولا اقبل شيئاً غيرها »

فيظهر من هذا ان غرض رنان انما كان طلب الحقيقة المجردة بقواه العقلية دون اعتماد على شهادات الكتب والناس . فاذا اخطأ فقد اخطأ عن حسن نية واذا اصاب فقد اصاب بحسن نية . وكل انسان يطلب ما يشاء بحسن نية اي يطلبه لذاته مجرداً عن المصلحة

الخصوصية فهو معذور ولا شك لانه يتبع ضميره ووجدانه . وبذلك لا تكون صناعة القلم عبارة عن صناعة تجارية يُقصد بها جمع الفكاهات والفوائد التي تُرضي الناس وتدرّ المال بل تكون — فوق الاهواء وفوق الناس — محكمةً عليا للمبادئ والضمير اذ لا غرض لها الا تقرير الحقائق لذاتها بين الجميع وطلبها حيثما كانت . وحينئذٍ تكون هذه الصناعة صناعة الهية وميزان الله في الارض بين الصغائر والدنايا البشرية

فياموحية هذه الصناعة الالهية يا « آثينا » العظيمة اسمحي لنا بعد صديقكِ العظيم ان نوجه اليكِ رجاءنا وسؤالنا نحن معاشر الشرقيين . وليس لك ان تتكبري علينا كثيراً فان بيننا رحماً قديمة . اتذكرين يا ايتها الالاهة اولئك الفينيقيين الاسرى الذين كان يختطفهم بحارة جزائرك في الارخبيل من شواطئ صور وصيداء ويسوقونهم الى بلادك . ان هؤلاء الاسرى كانوا من مساعديك على تمدين قومك وتعليمهم الفنون الجميلة لاول مرة وهم من قواعد نهضتك . ففي عروقك اذاً يا ايتها العذراء الجميلة شيءٌ من دماء شرقية . فنناشدك بحق حرمة هذا النسب القديم ان تبعثي الى الشرق جدك القديم شيئاً من سناء نورك العظيم . علينا ان ننسى اهواءنا ومصالحنا الخصوصية لنضع انفسنا في موضع خدمة المصلحة العمومية . علينا ان نجهر بمعتقدنا اياً كان ولا نخاف فيه قوات الارض والسماء لئلا نكون خونةً لك ضعفاء جبناء . افهمينا معنى الحق والعدل والواجب والعقل لنتخذها نجوماً تهدينا في ظلمات هذه الحياة وجامعة جديدة تقوم لدينا مقام كل جامعة بدل انقسامنا وتفانينا في تأييد المصالح والجهالة والاهواء . ثبتينا دائماً في احتقار ملاذّ الارض وموادها لئلا تشغلنا عنك فان تلك الملاذ الباطلة تقتلك وتقتلنا اذا قويت عليكِ وعلينا وحينئذٍ تصبح الارض مستنقعاً نتناً يسود فيه الاكثر شراهةً والاشدّ قابليَّة . افتحي عيوننا لنرى اننا في طلبنا الاصلاح في الشرق يجب ان نكون مخلصين قلباً وقالباً مهتمين بالجميع لا بفئة واحدة وان نبداء باقرب الاشياء الينا اي بانفسنا . واكمالاً لهذا الاصلاح بثي فينا يا ايتها الالاهة القادرة ذلك الروح الذي لا خلاص لنا بدونه وهو روح التساهل المطلق الذي كان صديقك رنان رسوله الكبير . ونعني بهذا التساهل اعطاء جميع الآراء والافكار حق الظهور في الشرق بين الناس لتكمل بذلك الحركة الشرقيَّة تمهيداً للنتيجة العظيمة التي تخرج منها بعد استيفاء فعلها واختمارها . ونحن نرضى هذه النتيجة مهما كانت لاننا على ثقة من انها لا تكون مناقضة لروحك روح العدالة والنزاهة الابديَّة الالهيَّة . واذا كنا لا نشاهدها في زماننا فحسبنا ان يشاهدها احفاد احفادنا ولو بعد عشرين عقباً

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمّ مطالعتهُ من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة و يكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

مصر قبل التاريخ

وسكانها الاصليون

لم يحقق علماء التاريخ بعدُ مسألة سكان مصر الاصليين ولا تزال هذه المسألة موضوعة موضع البحث والتنقيب . وقد كتب بول كومب في ذلك فصلاً مسهباً اليك خلاصته

قال سان هيلير « اننا اذا بحثنا في حيوانات مصر بحثاً دقيقاً لم نجد فيها حيواناً خاصاً بها » اي ان جميع حيواناتها قادمة اليها من خارج . وما يُقال في الحيوانات يُقال في البشر الذين سكنوها . قال المسيو دي مورغان مدير الآثار المصرية السابق في كتابه « اصل مصر والعصر الحجري والمعدني فيها » ان صناعة الحجارة في مصر جرت في تكيفها وارتقائها مجرى هذه الصناعة في باقي اقطار الارض . يريد بذلك انه كان لها اتصال بالخارج وهو يعتقد انها من صنع شعب افريقي استولى عليه شعب غريب قادم من آسيا واعطاه صناعة المعادن التي كانت اساس التمدن المصري القديم

وعلى ذلك يكون اصل سكان مصر افريقياً . وقد وافق على هذا القول شمبوليون المشهور فانه يقول في كتابه « خلاصة تاريخ مصر » ان القبائل الاولى التي سكنت وادي النيل من شلالات اصوان الى البحر قدمت اليه من الحبشة او من سنار . ويستحيل تأريخ هذه الهجرة لانها متناهية في القدم . وهؤلاء السكان كانوا يشبهون سكان بلاد النوبة اليوم . ولسنا نجد بين الاقباط في هذا الزمان لوائح اولئك السكان الاقدمين لان الاقباط خرجوا من امتزاج جميع العناصر التي حكمت مصر على التوالي »

ولكن اذا كان قد تقرر ان سكان مصر الاصليين قدموا اليها من اعالي النيل فانه قد

ثبت ايضاً ان مصر خالطت آسيا قبل الدولة الاولى · وقد عُرف ذلك من درس رسوم حيواناتها · فقد وجد في جملتها الثور الاسيوي والحمار الاسيوي والغنم الاسيوية وكلها تختلف عن حيوانات مصر الافريقية اختلافاً شديداً · ولذلك ذهب اكثرهم الى ان مبدأ التمدن العصري القديم كان في آسيا · وهذا رأي المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية لهذا العهد · فانه يقول في كتابه « تاريخ مصر القديم » ان سكان مصر مشتقون من قبائل ساميّة مختلطة قدمت اليها من آسيا عن طريق السويس فوجدت فيها نوعاً آخر من البشر وربما كان اسود فطردته الى داخل افريقيا »

قال بول كومب « فمما تقدم يظهر ان سكان مصر الاصليين كانوا من سود افريقيا وانهم نزلوا اليها مع الوقت على موازاة النهر · وان الحيوانات الافريقية التي وجدت في الآثار المصرية القديمة انما كانت متخلّفة عن هؤلاء السكان · ـ ثم زحفت الى مصر قبائل اسيوية معها حيوانات اسيوية وعندها صناعات معدنية فكان بها مبدأ التمدن المصري القديم ولكن من اين جاءت تلك القبائل الاسيوية ومن اي جنس هي · هنا موضع البحث والتنقيب

﴿ الكوخ الهندي ﴾

قرآته في المدارس

في الثغر مدرسة يونانية مهمّة تدعى « مدرسة افيروف » اسسها المرحوم افيروف الشهير · وهي تدرّس اللغة العربية لتلامذتها اليونانيين على اختلاف سنهم · وقد كان استاذ اللغة العربية فيها منذ مدة سيادة الاب المفضال الارشمندريت الياس شحاده ذيب رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسية في الثغر · فهذه المدرسة قررت تدريس « الكوخ الهندي » لطلبتها الذين يتعلمون اللغة العربية نظراً لسهولة عبارته وسمو المبادىء التي وضعها فيه مؤلفه برناردين دي سان بيير · وهنا محلّ للاعجاب باهتمام اخواننا الافرنج · فانهم يسبقون الناس دائماً الى طلب ما يفيد ويرقي حتى ان مدارسهم اليونانية سبقت المدارس العربية في مصر والشام الى قراءة رواية عربية كالكوخ الهندي على الطلبة · مع ان اساتذة مصر والشام لو انصفوا لما تركوا تلميذاً لهم تخلو يده من هذا الكتاب

وقد كادت تنفد طبعة الكوخ الهندي الاولى كما نفدت روايات الثورة الفرنسوية تقريباً فاذا عوّلت مدرسة اخرى على قراءته اضطررنا الى اعادة طبعه

فلسطين واشهر آثارها

(لحضرة نجيب افندي نصار في طبريا)

ان رضى القراء عن هذه الفصول المتتابعة في وصف الاثار المشهورة في فلسطين يمنعنا من اختصارها حرصاً على فوائدها لان القارىء الذي لم يزر فلسطين وتلك الاماكن المقدسة عند الامم الثلاث يراها ماثلة امامهُ كانه يشاهدها بعيني راسه لا سيما وان واصفها الفاضل ممن صرفوا عمرهم بالتنقل بينها ودرس شؤونها

طريق اريحا

اريحا واقعة على مسافة نحو ستة عشر ميلاً الى الشمال الشرقي من القدس · وطريقها طريق مركبات تدور من وراء سور المدينة من جهة الشمال بين محجر سليمان الى اليمين وهو مغارة كبيرة قطع منها سليمان الحجارة للهيكل واقصره لها باب صغير في حائط السور وتمتد كثيرًا الى الداخل تحت ابنية المدينة · ولم تزل آثار الاسافين والازاميل ظاهرة في اماكن كثيرة في جدرانها — وبين مغارة ارميا الى اليسار والارجح انها قسم من محجر سليمان

ثم تنحدر الطريق فتقطع وادي قدرون الفاصل بين جبل الموريا وجبل الزيتون عند كنيسة العذراء في بطن الوادي الى يسار الطريق · وقد ذكرها اركولفوس في سنة ٦٩٧ م اما مارينوس سناتوس فيظن انها بُنيت في الاعصر المسيحية الاولى وانها توارت بخرابات المدينة في عهد ادريانوس · اما البناء الحالي فقد بنته امرأة فولك انجو رابع ملوك القدس من الصليبيين · ويُنزل اليها بسبع واربعين درجة وفيها قبرا يهوياكيم وحنة نُقلا اليها في القرن الخامس عشر وقبرا يوسف والعذراء · والى جانبها بئر قديمة منقورة في الصخر يقال انها مغارة الآلام · ثم ترى بستان جثسيماني الى اليسار · وفي الوادي تحت الطريق الهرم المسمى تارة طنطور ابشالوم واخرى طنطور فرعون · ويرشقه اليهود بالحجارة لما يمرون بجانبه ازدراء بعصيان ابشالوم على ابيه · وقد ترجح انه قبر اسكندر جانيوس احد امراء الحشمونيين · وفي الوادي ايضاً توجد مغاور منحوتة في الصخر وهي مدافن قديمة كانوا ينسبونها في كل قرن الى قوم آخرين من الانبياء والاولياء والرسل الى ان اقتاد البحث عنها المسيو دي فوكوه الى اكتشافه كتابة بالاحرف العبرانية من الشكل المربع تتضمن اسماء عشرة انفار من عشيرة بني حزير الذين كانوا من رؤساء الكهنة في ايام الحشمونيين وهيرودس وبعد ذلك تمتد الطريق الى قربة اللعازرية

﴿ قرية اللعازرية او بيت عنيا ﴾ تبعد نحو ميلين عن القدس وهذه المسافة هي عين الخمس عشرة غلوة التي يذكرها يوحنا في انجيله . والبلدة واقعة في بقعة خصيبة في الجهة الجنوبية الغربية من سفح جبل الزيتون عدد سكانها نحو ثلثمائة نفس من المسلمين وهي « بيت عنيا » التي كان المسيح يتردد عليها والتي تعشى فيها مع صديقه لعازر وفيها مُسِحت رجلاه بطيب الناردين . وفيها بنت ماليسندا امراة فولك التي مر ذكرها في المكان المزعوم انه بيت لعازر ديرًا للراهبات ربما خرب في القرن الثالث عشر . و بالقرب منه من جهة الغرب بقايا برج روماني شاهق

اما قبر لعازر فهو على مسافة قريبة الى الشمال من البرج في مغارة سفلية يُنزل اليها باربع وعشرين درجة . واما الكنيسة التي ذكر جيروم في القرن الرابع بانها كانت مبنية فوقه فقد ذكرها اركولفوس في القرن السابع ايضًا . وقال احد كتبة القرن الخامس عشر بانه شاهدها محوّلة الى جامع

وقد رجحت الاقوال على كون بيت سمعان الابرص واقعًا بالقرب من هذا القبر من جهة الشرق . والله اعلم

ويزعمون ان مريم ومرثا اختي لعازر لاقتا المسيح الى مسافة نحو ميل الى الجنوب من بيت عنيا حيث جلس ليستريح على حجر هناك . فاحاط الارثوذكسيون ذلك الحجر بدير.

﴿عين الرسل ﴾ ومن اللعازرية تنحدر الطريق في منعطفات كثيرة الى واد عميق فيه نبع ماء يُدعى الحوض وقد سماها الصليبيون عين الرسل لاعتقادهم ان تلاميذ المسيح استراحوا عندها وشربوا منها في طريقهم من اريحا الى القدس . ولا يبعد ان هذه العين كانت كما هي الان محل استراحة المسافرين لانها العين الوحيدة على هذه الطريق . وقد بنت الحكومة بجانبها نزلاً صغيرًا لهذه الغاية . ولم يختلف الرواة في كون هذه العين هي عين شمس (يشوع ١٥ : ٧—٨) الواقعة على الحد بين يهوذا و بنيامين

﴿ عقبة الدم ﴾ وبعد نحو ساعة تصل الطريق الى عقبة الدم وهذه ايضًا على الحد بين يهوذا وبنيامين (يشوع ١٥. ٧ —٨) قال بعضهم ان اسمها اشتق من لون اديمها الاحمر المشابه لون الدم . وقال البعض الآخر بل من كثرة الدماء التي اهرقها اللصوص فيها لانها كانت قديمًا مكمنًا لا يخلو من اللصوص . وفي راسها خان بنته حكومة القدس ايضًا . و يعتقد الجمهور ان الفندق الذي قال المسيح ان السامري وضع فيه ذاك الذي ضرب به اللصوص وجرحوه وعروه وتركوه بين حي وميت (لوقا ١٠ : ٣٠ — ٣٧) كان قائمًا في موضع هذا

الفندق بدليل ان هذا الخان واقع في منتصف الطريق بين القدس واريحا وبحماية القلعة التي بناها الرومانيون وعززوها بحامية من الجند لحماية هذه الطريق الممتدة بين جبال اليهودية الجدباء

وآثار هذه القلعة لم تزل مشهورة على تل واقع على مسيرة ٥ دقائق الى الجنوب الشرقي من الخان . وهي تشرف على القسم الكبير من الطريق وقد ذكرها يوسيفوس باسم « داغون » وقال ان بطليموس لجأ اليها بعد ما قتل حميه سمعان المكابي . ودعاها الصليبيون القلعة الحمراء

﴿ وادي النبي ايليا ﴾ ثم تمتد الطريق الى ان تصل الى بقية قناة قديمة مبنية بالحجارة والكلس ربما كانت من بقايا الاقنية التي بناها هيرودس او ارخيلاوس ابنه لجر الماء الى اريحا . وعندها تترك المركبة وتتسلق التلال الى يسار الطريق فتعلو في نحو دقيقتين رابية تشرف على واد عميق هائل تكاد جدرانه الصخرية تكون عمودية يدعى وادي القلط فيه مسيل ماء يؤكدون انه نهر كريث الذي قيل ان النبي ايليا لجأ اليه فراراً من وجه اخاب ملك اسرائيل وصارت الغربان تعوله هناك (ملوك ص ١٧ ع ٣ـ٨) وفي وسط جانب ذلك الوادي الايسر بنى الروم الارثوذكس ديراً باسم يوحنا المعمدان . وبجانب الدير مغارة في الصخر يُصعد اليها بسلم يظنون انها المغارة التي اختبأ فيها النبي ايليا . وفي جانب الوادي الآخر نقر ارخيلاوس قناة لتحويل ماء النهر الى الاقسام العلوية من غور اريحا . وبعض هذه القناة منقور في الصخر و بعضها مبني بالحجارة والكلس والرمل . وقد رممها الصليبيون وانتفعوا بها

وبعد نحو ساعة تصل الى اريحا

اريحا

او مدينة النخل

هي واقعة في جهة غور الاردن الجنوبية . تحت سطح البحر بتسعماية قدم . ولذلك تشتد فيها الحرارة في فصل الصيف الى درجة لا تطاق . وهي تابعة للاملاك الخاصة السلطانية (الجفتلك السلطاني) ما عدا القليل منها . وتدير شؤونها الزراعية شعبة ملحقة بمديرية الاملاك الخاصة بالقدس . وفيها اربع « لوكندات » معدة لقبول السياح الغرباء . غير انها لا تُفتح في الصيف وذلك لشدة الحر ولعدم وجود مسافرين . وفيها ايضاً مضيف روسي اما اهلها فهم من سبط الغوارنه (سكان غور الاردن) وهم قوم نحاسيو اللون يميلون

الى الراحة لان الحر الشديد يحل عزائمهم فيقعدهم عن العمل والجد . ولذلك تراهم في فقر شديد وسذاجة كلية . وهم يسكنون بيوتاً مصنوعة من الاخشاب والقصب والطين وقلما يبنون بالحجارة

ويقول اكثر الرواة ان اريحا الصليبية التي كانت يومئذ نضرة بكثرة اشجارها و بساتين قصب السكر التي كانت فيها كانت في موقع هذه . وقد بنى فيها الصليبيون في ذلك الزمن كنيسة وديرًا باسم استفانوس . وحصنوها بقلعة . واما اليوم ففيها كنيسة ارثوذكسية يزعمون انها في مكان بيت زكا العشار . وفيها كثير من شجر الموز والعنب الذي ينضج ثمره قبل البلدان الباردة العالية . ولذلك يُباع باثمان غالية . وفيها غابات من انجم النبك وهو نبت وادي الاردن الكثير . ويظنون ان اكليل المسيح ضُفر من شوكه

اما اريحا القديمة فقد كانت على زعم يوسيفوس وغيره من الكتبة الاقدمين واقعة على التلال القائمة الى جانب عين السلطان على مسافة نحو ميلين الى الشرق من اريحا الحالية . وهي التي جاءها الجاسوسان الاسرائيليان والتي سقطت اسوارها بدون حرب امام الجيوش العبرانية (يشوع ص ٦) والتي اعاد بناءها حيئيل البيتئيلي فوضع اسسها بابيرام بكره ونصب ابوابها بسجوب صغيرة (ملوك ١٦ : ٣٤) وكانت من نصيب سبط بنيامين . غير ان مملكة اسرائيل الشمالية استولت عليها بعد انقسامها عن اختها في ملك رحبعام . وبقيت في حوزتها حتى الاسر البابلي . وقامت فيها في غضون ذلك مدرسة للانبياء . اما اريحا الرومانية التي يرجح الجمهور انها كانت على مسافة نحو ميل و ربع الى الجنوب من عين السلطان فقد قيل ان اليهود بنوها بعد ما رجعوا من الاسر البابلي وحصنها بخشيد قائد جيش ديمتريوس ابن سلوقس بعد واقعة بيت حجلا مع المكابيين . ومر فيها بومبيوس في طريقه من بيت شان الى القدس . وجعلها غابيوس بعد ان سلخ الحكم من ايدي اليهود مركز قنصلية رومانية . ووهبها انطونيوس قيصر لكليوباترا التي باعتها من هيرودس الكبير فاعاد بناءها بعد ما كان خربها في بداءة ملكه وزينها بالابنية الكبيرة الشائقة التي سماها باسماء اصحابه منها قلعة كيبروس على اسم والدته التي كانت تصرف فصل الشتاء فيها . واليها جمع كبراء الامة اليهودية لما ثقل مرضه واوصى اخته بقتلهم يوم وفاته كما قيل ليعمّ الحزن والنواح الامة كلها في ذلك اليوم . غير ان اخته اطلقت سراحهم حال موته فكان يوم فرح عظيم شامل « يوسيفوس حروب اليهود كتاب واحد فصل ٣٣ قطعة ٦ » وخلفه ابنه ارخيلاوس فحصّن القلعة وحسنها وجرّ المياه الى المدينة من قرية تُدعى نيربا وزينها

ببساتين البلسان والحناء والبلسم وغرس فيها كثيرًا من النخل . وقد قال يوسيفوس انه كان فيها غابة من شجير النخل الغض تبلغ مساحتها مائة ستاديا

ولقد كان اليهود القادمون للعيد الى أورشليم يجتمعون فيها من الجليل ومن بيريا الواقعة شرقي الاردن . وقد مرّ فيها السيد المسيح مرة وتلمذ زكا « لوقاص ١٩ » وترك فيها فسباسيانوس الفيلق العاشر من جنده لوقاية تلك المقاطعة من الثائرين . وفي بدء القرن الرابع صارت كرسي اسقفية و بنى فيها جوستينيانوس كنيسة للعذراء . ولقد قال بعضهم ان اريحا كانت حصن اليهودية ومفتاحها . والحقيقة خلاف ذلك لاننا لم نعثر اثناء البحث في تاريخها على كون اهلها كانوا ينازلون اعداءهم ويحاربونهم او يثبتون على الاقل في الحصار امامهم . بل كانوا على الدوام اما يسلمون للاعداء او ينهزمون من امامهم . ولكنها احق بان تسمى مخزن اليهودية الكبير بسبب غناء اراضيها بالحاصلات ولانّ واردات وادي الاردن الخصيب كانت تأتي القدس ويافا بطريقها وتودع في غالب الاحيان في مستودعاتها

عين السلطان

عين السلطان على مسافة ميلين تقريبًا الى الشرق من اريحا الحاليـة وهي العين التي قيل ان اليشع النبي ابرأها بوضعه الملح فيها « ملوك م ١٩ : ـ ٣ » وجاء يوسيفوس على ذكر ذلك في حروب اليهود « كتاب ٤ فصل ٨ قطعة ٣ » قال بعض الكتبة ان بيت المرأة راحاب التي قبلت الجاسوسين فيه كان بقرب هذه العين . ماؤها ينبع من الارض في بركة مبنية حولها طولها ٩٠ قدمًا وعرضها ١٨ قدمًا . ودرجة حرارتها ٨٠ بمقياس فرنهيت . وعليها ثلاث مطاحن وهي تسقي المدينة الصغيرة و بساتينها النضرة

والى الغرب من هذه العين بقايا ٣ معاصر لقصب سكر ربما كانت من اثار الصليبيين و بالقرب منها عدة اقنية يغلب الظن انها من اقنية ارخيلاوس . وعلى مسيرة ٢٠ دقيقة من عين السلطان الى الشمال الشرقي من معاصر قصب السكر توجد عين النويعمه وعين الدوك وقلعة دوكس المذكورة في سفر المكابيين « ١٦ : ١٥ » وتصل من هناك في عشرين دقيقة الى دير الاربعين الذي يزعمون ان السيد المسيح صرف عنده مدة الاربعين يومًا صائمًا . ومن على قمة الجبل الواقعة فوق الدير ورد في الانجيل ان الشيطان اراه جميع ممالك العالم ومجدها « متى ٤ »

البحر الميت

تسير المركبة ببعض الصعوبة في طريق طبيعية من اريحا اليه . وعند منتصف الطريق

تشاهد دير حجلا للروم الارثوذكس ربما بني على آثار قرية بيت حجلا القديمة التي كانت على الحد بين يهوذا و بنيامين والتي تغلب فيها سمعان واخوه يهوذا المكابيان على بخشيد قائد ديمتريوس

اما البحر الميت فيدعى في التوراة بحر لوط وبحيرة الملح والكتبة العبرانيون يدعونه بحر الاسفلتيس وطوله ٤٧ ميلاً وعرضه يختلف من ثلثة اميال الى تسعة واعمق مكان فيه يبلغ الف وثلثمائة قدم . وارضه اقل من اليابسة انخفاضاً لانها اوطأ من سطح البحر بالف وثلثمائة قدم . وتطغو مياهه كثيراً في ايام الربيع بسبب فيضان نهر الاردن والجداول الاخرى التي تصب فيه وبسبب قلة التبخير منه لضعف حرارة الشمس في ذلك الفصل من السنة . غير انها تتناقص كثيراً في الصيف بسبب شدة حرارة الشمس التي تمتص منها اكثر كثيراً من المياه المنتهية اليها . ويؤكد ذلك الادلة التي اكتشفها علماء الطبيعة بكون سطح هذا البحر كان اعلى كثيراً في الاعصر الغابرة مما هو الان . وماؤه أجاج واثقل مياه الابحر المالحة . قال يوسيفوس ان فسباسيانوس ربط ايدي وارجل بعض الاسرى الذين لم يكونوا يحسنون السباحة وطرحهم فيه فلم يغرقوا . وقال ايضاً انه (اي البحر) كان يقذف مادة من الحمر كانوا يستعملونها لطلي السفن ولحاجات اخرى . وقد كانت السفن كثيرة في هذا البحر واما اليوم فلا يوجد فيه سوى واحدة وضعتها الحكومة لتسهيل المواصلات بين الكرك ومدينة القدس . اما العناصر الموجودة في الماء فهي كلوريد الصوديوم وكلوريد المغنيسيوم وكلوريد الكلس و بعض عناصر اخر ثانوية . وقال يوسيفوس ايضاً ان المدن الخمس التي كانت على هذا البحر وهي صدوم وعامورة وادمة وصبوييم وجبوييم (تكوين ص ١٤) كانت آثارها ظاهرة في ايامه

نهر الاردن

ولئن كان هذا النهر اكبر انهر سوريا الا انه يحسب جدولاً بالنسبة الى انهر العالم الكبيرة كنهر الامازون والمسيسيبي والتيمس . غير انه يفوقها شهرة لوجوده في ارض الميعاد المقدسة ولتعلقه بعدة حوادث دينية . وله ثلاثة ينابيع رئيسية احدها حاصبيا و يقال له الحاصباني والاخر عند بانياس يخرج من مغارة الاله بان الذي اتخذت البلدة اسمها منه . والثالث يخرج من تحت تل القاضي وهو حد مملكة اسرائيل الشمالي . وتتحد هذه الانهر عند رأس سهل الحولة الشمالي وتصب في بركة الحولة المدعوة في التوراة مياه ميروم فبحيرة طبريا فالبحر الميت . ويصب في هذا النهر عدة جداول أخر بعضها دائم كنهر اليرموق الذي ينضم

اليه بعد خروجه من بحيرة طبريا . وعليه بقايا عدة جسور رومانية بعضها خرب والبعض الاخر لم يزل قائماً كجسر بنات يعقوب بقرب صفد وجسر الجامع بقرب طبريا . ويعلو مخرجه عن مصبه ثلثة الاف وثلثمائة قدم ولذلك يسير بسرعة زائدة وله تعاريج كثيرة حتى ان مسافة مجراه تعدل ثلاث مرات المسافة الكائنة بين مخرجه ومصبه البالغة نحو ١٢٥ ميلاً . وتكثر اشجار الدفل والقصب على ضفتيه . وفيه من انواع اسماك بحيرتي الحولة وطبريا غير انها اذا سيقت بطغيان الماء الى البحر الميت تموت حالما تدخله

﴿معبر الاردن﴾ اما المكان الذي يُظن ان الاسرائيليين عبروا منه الى ارض الميعاد فهو على مسافة ساعة من البحر الميت تسير اليه المركبة في طريق غير ممهدة . وهناك يزعمون ايضاً ان ايليا ضرب الماء بردائه فاوقفه وقطع على اليبس الى الضفة الاخرى وصعد بمركبة نارية الى السماء (٢ ملوك ص ٢) وكذلك يوحنا المعمدان كان يُعمد فيه فتكون معمودية المسيح قد جرت هناك . ولذلك شبه المسيحيون نهر الاردن بنهر الموت وعدوا عبور الاسرائيليين اياه الى ارض الميعاد والحوادث الاخر التي ذكرناها رمزاً الى انتقال المسيحي من عالم الخطيئة الى دار البقاء . فلذلك تراهم يبالغون في احترامه و يتواردون من جميع الانحاء الى زيارته والاعتماد فيه و ينقلون من مائه الى البلدان القصية ليمزجوه بالماء الذي يعمدون فيه اطفالهم تبركاً . قال انطونيوس في القرن السادس عشر ان ضفتي النهر كانتا مبلطتين في هذا المكان وان صليباً خشبياً كان منصوباً في وسط الماء

﴿مأوى يحيى﴾ بالقرب من هذا المكان دير ماري يوحنا للروم الارثوذكس يُقال ان القديسة هيلانة بنته فوق الكهف الذي كان يوحنا المعمدان يأوى اليه لما كان يكرز ويعمد في برية اليهودية بقرب الاردن . غير ان الاقوال الحقة تشير الى كون جوستينيانوس بناه فخرب فاعيد بناؤه في القرن الثاني عشر . ويوجد فيه بقايا اقبية قديمة وبقايا نقوش بالفسيفساء

﴿الجلجال﴾ محطة الاسرائيليين الاولى بعد عبورهم النهر لم تزل حقيقة موقعها مجهولة غير انها لا بد ان تكون متوسطة بين النهر واريحا لان التوراة تقول انها في تخوم هذه

﴿غور الاردن﴾ يليق بنا قبل الفراغ من هذه المقالة ان نذكر شيئاً عن حقيقه وادي الاردن مصدر ثروة فلسطين اذ يملأ ايدي الفلاح خيراً من دون تكليفه عملاً شديداً كباقي الاراضي . ويمر في عرضه على جانبي الاردن عدة مشارع وجداول بحيث يتيسر ري اراضيه بسهولة . وتنمو فيه كل اشجار البلدان الحارة نمواً سريعاً وتنضج اثمارها بسبب الحر قبل الاوان فتباع باسعار غالية . و يطلق اسم الغور على القسم الواقع بين

طرف بحيرة طبريا الجنوبي والبحر الميت وطوله نحو ٦٣ ميلاً وعرضه يختلف كثيراً واوسع نقطة فيه عند نمرين تبلغ نحو ١٠ اميال

اما الاقسام الشمالية من هذا الوادي فتدعى الغوير . وفيه تلال كثيرة اصطناعية ربما كانت حصوناً ومزارع قديمة . واطراف هذا الوادي الجنوبية الواقعة حوالى البحر الميت جدباء من كثرة الملح المنتشر فيها . والقسم الاكبر منه الآن تابع للاملاك الخاصة السلطانية (الجفتلك) وتدير شؤونه الزراعية مديرية بيسان ونحن نعتقد رغماً عن الاجتهاد المصروف في تعمير اراضيه واستغلالها بعد ان كانت مهملة ان اسباب العمران لا تتوفر الا بتوفير اسباب الامن والراحة كمد طريق مركبات تتصل بطريق القدس عند اريحا و بطبريا من الطرف الآخر، وفتح مراكز للبريد والتلغراف فيه . وقد كتبنا بذلك مرة الى رئاسة كومسيون الجفتلك في الشام فرأينا انها اقتصرت على وضع شعبة تلغراف في بيسان وشرعت بتمهيد الطريق حواليها فقط

وبعد استيلاء السمرة على البلاد المعروفة اليوم باسم جبل نابلس صارت طريق اليهود بين الجليل واليهودية تمر بوادي الاردن تحاشياً من اختلاطهم بالسمرة . ويعسر السفر في الغور في ايام الحر لانه يشتد و يكثر البرغش في وقت سكون الارياح فيعمي الابصار ويعم الاذان وافضل وسيلة لطرده كثرة التدخين

تحرير الصحافة في الشرق

يدعونا الى الكلام في هذا الموضوع في هذا الجزء فكاهة قرأناها لبعضهم منذ مدة وهي قوله في كلامه عن احدى المجلات ما معناه

« ان تحرير الجرائد والمجلات سهل جداً في هذا العصر . فانه يكفي ان تكون في مكتبة الكاتب دائرة للمعارف الاوروبية (انسيكلو بيذيا) لتكون مجلته او جريدته علمية تاريخية صحية فلسفية زراعية سياسية صناعية . اذ باب الترجمة واسع لكل داخل الخ . . »

فجواب المنصف على ذلك ان هذا الانتقاد في محله اذا كان الغرض منه لوم الكتاب لتركهم « الاخصاء » (انصراف كل عالم الى علم) واشتغالهم بكل ضروب المنقول والمعقول معاً . فيكون احدهم تاريخياً سياسياً زراعياً صناعياً تجارياً اديباً فيلسوفاً في وقت واحد مع

انه لو صرف عمره في فن واحد من هذه الفنون لما استطاع انقانه كما يجب ولما الم بكل ما يكتب فيه . وقد سبقت الجامعة الى هذا الانتقاد في مقالتها « الكاتب الشرقي وحاجاته الجديدة » لان الجهر بالحق واجب وان كان مرًّا . ولكن اذا كان الغرض من كلام المنتقد تحقير العاملين في الشرق اليوم فانه تحامل وتطاول على الذين يشقّون انفسهم بالتعب والكدّ لنفع الناس . ولو انّ اصحاب المجلاّت الاوروبية والاميركيّة يسمعون بان في الشرق مجلاّت وجرائد قد ينفرد باحداها فرد يبذل عرق القربة في تحرير موادّها العلمية والادبية والسياسيّة المختلفة وابوابها المتعدّدة وان بين قراء الشرق من يجزي اصحابها على ذلك بالتصغير والتحقير جزاء سنمّار فانه يدهش من ذلك ويعرف به سرًّا من اسرار التأخر في الشرق وهو مقاومة العاملين النافعين

فالمجلات والجرائد في الشرق مضطرة الى تنويع ابحاثها تبعاً لاذواق قرائها . ولو انفردت كل واحدة منها بمادّة لما قامت لها قائمة . فالتبعة اذًا واقعة بالاكثر على الجمهور اذ ليس بين قرائه قراء يطلبون مادة واحدة ويكتفون المجلة المشتغلة بها . ولو وضعتَ اي عالم من علماء الغرب بين قومه موضع كتابنا بين قومنا اي انك عهدتَ اليه ان يحرر بقلمه وحده مجلة « تبحث في كل شيء » كما يقولون وتحوز رضى الجمهور الغربي واكرامه لاستعفى اليكَ بقوله « عفوًا فلستُ حطّابًا » وما ذلك الاّ لانه يرى نفسه مع سعة علمه في فنه عاجزًا عن ارضاء الجمهور الغربي في باقي الفنون لان التأليف عندهم هناك ابتداع لا اتباع . ومن المحال ان يكون الابتداع في جملة فنون لان عمر الانسان قصير وقواه محدودة

ولنا احسن دليل على ذلك في كبير مؤلفي الغرب الفيلسوف ارنست رنان . فانه في مقدّمة كتابه « القديس بولس » لم يخجل من التصريح بانه استعان في كتابة هذا الكتاب بالمسيو دارانبورج والمسيو نولاير فيما يختص بالتلمود . وبالمسيو رو وهوزي ودي جاردين وكيبر فيما يختص بالجوغرافيا . وبالمسيو رنيه واجر وادنكتن فيما يختص باللغتين اليونانية واللاتينيّة . قال ولم يكن فكري يستريح فيما يختص بشؤون سوريا وآسيا الصغرى الاّ متى جاء رأيي مطابقاً لرأي المسيو وادنكتون الرحالة المشهور . اي ان رنان كان يقابل من ذكرنا من الاخصائيين في اثناء تأليفه كتابه ويستعين بعلمهم — فاذا كان مؤلف مثل رنان يعتمد على غيره أيحرّم على كتّاب الشرق الاعتماد على كتاب الغرب الذين سبقوهم بمراحل

ثم ان الذين يظنون ان الترجمة والتلخيص أمر سهل يخطئون خطاء عظيماً . اذ القصد من الترجمة الصحيحة ابراز نفس مادة المؤلف بقالب مساوٍ لقالبها الاصلي في القوة والسهولة

والجمال . وهذا يقتضي قوى كقواه . نعم ان ترجمة وتلخيص الفصول التاريخية و النباتيّة والصحية والطبيعية امر سهل لان الكاتب اذا تصرّف فيها لا يشوّهها ولا تقتضي تعباً غير معرفة الاصول وضبط الاصطلاحات . ولكن ترجمة المواد الفلسفية والادبيّة على الخصوص بقالب كقالبها الاصلي لا يعرف صعوبته الاّ من عاناه . ولقد صرفنا نصف نهار في ترجمة «صلاة رنان على الاكربول» المنشورة في هذا الجزء مع اننا متى كانت المواد جاهزة لدينا نكتب بنصف هذه المدة اطول مقالة من مقالات الجامعة تأليفاً او تلخيصاً . وعلى ذلك فترجمة كتلك الترجمة هي في الحقيقة اصعب من التاليف

وبناءً على ذلك لا غنىً للكتّاب اصحاب المجلات والجرائد في الشرق عن الاعتماد على علماء الغرب في جميع فروع الحركة العلمية لان الغرب اليوم مصدرها كما ان الشرق كان مصدرها من قبل وكان الغرب ياخذها عنه . والمخلصون منهم الذين يكرهون الشعوذة يعترفون بذلك و يقولون ان وظيفتهم انما هي قائمة باقتطاف المعارف الغربية من حدائق علمائها الاعلام المنصرفين الى غرس هذه الحدائق علماً وعملاً . اما الذين يحاولون انكار ذلك والتظاهر بضده فلا يجوز ايهامهم الاّ على السذّج والعامة الذين يصدّقون كل مايقال لهم . ولو لم يكن المنتقد من الفريق الثاني لما صدر هذا الانتقاد عنه

وربما يُقال ان الكلام في المواضيع الشرقيّة لا ينطوي تحت هـذا الحكم . فتاريخ الشرق وعادات الشرق وجغرافيـة الشرق لا تؤخذ الاّ عن الشرقيين انفسهم . فجوابنا على ذلك بكل حرية وصراحة ايضاً اننا من سوء الحظ في هذا ايضاً لا غنى لنا عن علم الغرب وجدّه وصبره . فهنالك مستشرقون عظام ينفقون اموالهم واعمارهم في درس الشرق وآثاره معتمدين على مكاتبهم الغاصة بكتب علماء الشرق الاولين . وربّ واحد منهم يسيح في الشرق سنة ويتفكر ويطالع في موضوعه سنتين ويكتبه في سنتين وينقحه في عشر سنوات ثم يبرزه آية في الجمال والكمال . فالمؤلفون في الشرق لا وقت عندهم ولا مال ولاالاحوال تساعدهم على هذا الانقطاع فيضطرون الى الاعتماد على رصفائهم الغربيين بالاكثر فيأخذون في سنة ما تعب اولئك سنوات في وضعه . واحياناً يذكرون ذلك واحياناً لا يذكرونه . فالشرق لا يزال طفلاً في كل شيء حتى فيما يختص بنفسه . والطفل لا يصير رجلاً بمجرّد دعوى الرجولية . واذا كان هذا الطفل لا يزال يجلب ملابسه وآلات عمله وجميع حاجاته من الغرب فهل من الغرابة ان يجلب منه علمه ايضاً . هل ان ايجاد العلم اسهل من ايجاد المصنوعات . كلا بل ايجاده اصعب من ايجادها بكثير لانها ليست سوى نتيجة له . ولكن

العلم يسهل انتحاله والمصنوعات لا يسهل انتحالها

وغني عن البيان ان هذا القول لا يشمل التلخيص او التأليف من الكتب الشرقية العربية التي بين الايدي لان هذا الامر اسهل من التلخيص او التأليف من الكتب الافرنجية · ذلك لانه لا يستلزم سوى الصبر على المطالعة وحسن التأليف بين المواد الموجودة امامه في الكتب اي جمعها بعضها الى بعض مع ملاحظة تناقضها ومبالغتها

كل ذلك يعترف به الكتّاب ولا ينكرونه · وهم يعجبون بغيرة بعض الشرقيين الذين لا يرضون ان تتبع مجلاتهم وجرائدهم خطى علماء الغرب بل يطلبون ترقيتها لتستقل بنفسها وبعلمها · ولكن هؤلاء الغيورين ينسون من سوء الحظ ان ذلك لا يتمّ لها بالتطاول والتحامل عليها ولكن بمساعدتها وتشجيعها

اللغة العربية والشرق

بقلم جناب الشاعر المشهور مصطفى افندي صادق الرافعي

((يحق للقارئ بعد تلاوة هذه القصيدة الغراء ان يقول معنا هذا هو الشعر العربي المبين والدرّ النظيم · وقد خصص كلٌّ من نابغي الشعر في مصر نفسه بمقام رفيع يلوذ به · فشوقي بك شاعر الحضرة الخديوية · وحافظ افندي ابرهيم والشيخ مصطفى افندي المنفلوطي شاعرا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية · اما الرافعي ناظم هذه القصيدة فهو على ما يظهر يحب ان يكون (شاعر الشرق) لكثرة حنينه اليه · وكل من يعرف شباب الناظم لا يشكّ في انه سيكون له في هذا الفنّ في الشرق ارفع مقام اذا استمرّ يطلب فنه لذاته ولم ييأس منه ويتشاغل عنه · والآن اليك درره في اللغة العربية والشرق))

أمٌّ يكيد لها من نسلها العقبُ ولا نقيصة الا ما جنى النسبُ

كانت لهم سبباً في كل مكرمة وهم لنكبتها من دهرها سببُ

لا عيب في العرب العرباء ان نطقوا بين الاعاجم الا انهم عربُ

والطير تصدح شتّى كالانام وما عند الغراب يُزكّى البلبل الطربُ

اتى عليها طوال الدهر ناصعةً كطلعة الشمس لم تعلق بها الريبُ

ثم استفاضت دياجٍ في جوانبها كالبدر قد طمست من نوره السحبُ

ثم استضاءت فقالوا الفجر يعقبه … صبح فكان ولكن فجرها كذبُ
ثم اختفت وعلينا الشمس شاهدة … كأنها لعنة في الجو تلتهب
سلوا الكواكب كم جيلٍ تداولها … ولم تزل نيراتٍ هذه الشهب
وسائلوا الناس كم في الارض من لغة … قديمة جددت من زهوها الحقب
ونحن في عجب يلهو الزمان بنا … وما اعتبرنا وبئس الشيمة العجب
ان الامور لمن قد بات يطلبها … فكيف تبقى اذا طلاّبها ذهبوا
كان الزمان لنا والألسن جامعة … فقد غدونا له والامر ينقلب
وكان مَنْ قبلنا يرجون نهضتنا … فاليوم لو نظروا من بعدهم ندبوا
أنترك الغرب يلهينا بزخرفه (١) … ومشرق الشمس يبكينا وينتحب
وعندنا نَهرٌ عذب لشاربه … فكيف نتركه في البحر ينسرب
لكم بكى القول في ظل القصور على … أيام كانت خيام البيد والطنب
والشمس تلفحه والريح تنفحه … والظل يُعوِزه والماء والعشب
وأيُّما لغةٍ تُنسي امرءاً لغةً … فانها لعنة من فيه تنسكب
ارى نفوس الورى شتى وقيمتها … عندي تأثرها لا العز والرتب
ألم ترَ الحطب استعلى فصار لظًى … لما تأثر من مس اللظى الحطب
فهل نضيّع ما ابقى الزمان لنا … وننفض الكف لا مجدٌ ولا حسب
انا اذًا سبة في الشرق فاضحة … والشرق منّا وان كنا به خربُ
هيهات ينفعنا هذا الصياح فما … يُجدي الجبان اذا روّعته الصخب
ومن يكن عاجزًا عن دفع نائبة … فقصرُ ذلك ان تلقاه يحتسب
اذا اللغات ازدهت يومًا فقد ضمنت … للعرب اي فخار بينها الكتب
وفي المعادن ما تمضي برونقه … يدُ الصدا غيرانْ لا يصدأ الذهب

---

(١) فليسمح لنا الناظم ان نقول هنا بان تمدن الغرب ليس بزخرف بل هو تمدن عظيم . والاحسن ان نشترك في فضله ونقول انه ليس سوى تتمة التمدن الشرقي الاول . وبناء على ذلك اذا اقتبسناه فاننا نسترد بضاعتنا القديمة

آثار عرب الشام

الغساسنة

بينما كان علماء الالمان في هذا العام يبحثون في الجامع الاموي في دمشق الشام عن آثاره الخطية القديمة وينشرون ما انطوى فيه من الكتب والرسائل العبرانية والسامرية واللاتينية والارمنية واليونانية والسريانية كان المسيو برهرت احد المستشرقين الالمانيين ايضاً يجول بين يدي سكة الحجاز الحديدية في غربي الاردن حيث تكثر الخرابات والآثار القديمة. وقد سهّل له ذلك المهندسون الالمان في السكة الحديدية الحجازية

ولما عاد المسيو برهرت الى وطنه نشر شيئاً من نتيجة رحلته. وأهمّ ما جاء فيها تنبهه الى خرابات مجهولة قائمة وراء الاردن على طريق الحج تدعى «المشتى» وقد سميت كذلك لان البدو هناك يصرفون فصل الشتاء فيها

وخرابة «المشتى» هذه عبارة عن قلعة مربعة تقريباً طول جدارها الجنوبي ٦٠ متراً وجدرانها الثلاثة الاخرى اقصر بثلاثة امتار. وعلى هذه الجدران الثلاثة برجان ضخمان وخمسة ابراج اخرى اصغر منهما. والمدخل اليها كائن في صدرها الجنوبي. وهذا الصدر مزين بنقوش في غاية الجمال واحكام الصنعة حتى ان السائح ليدهش من اتقانها

لكن يظهر من حالة البناء انه لم يتمّ قط اي ان الذين شرعوا في بنائه عدلوا عنه بعد الشروع فيه. قال المسيو برهرت: ولكن من بنى ذلك البناء الفخيم في تلك البرية الجرداء التي لا اثر للقرى والمدن من حولها؟ يظهر ان السائح يرجّح ان ذلك الاثر من آثار الغساسنة عرب الشام. فان المسيو دي فوكوه يقول ان آثار شربة البيداء في الصفا في شرقي دمشق هي من آثار الغساسنة. والمشتى شبيهة بشربة البيداء من عدة وجوه. وفضلاً عن ذلك ففي قرب المشتى قلعة اخرى تُدعى «القسطل» مشهور عنها انها من آثار الغساسنة. (انظر كلام ابي الفداء بعدُ) وفي ذلك دليل على صحة رأي المسيو برهرت

ومعلوم ان الغساسنة عرب اصلهم من اليمن من بني الازد وقد هاجروا بلاد العرب عقب حروب واضطرابات مختلفة (١) «ونزلوا على ماء بالشام يقال له "غسان" فنسبوا اليه. وكان قبلهم بالشام عرب يُقال لهم الضجاعمة من سليح فاخرجت غسان سليحاً عن ديارهم

(١) ابو الفداء يقول عقب سيل العرم

وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم . واول من ملك منهم جفنة بن عمرو . وكان ابتداء ملكهم بالشام قبل الاسلام بما يزيد على اربعمائة سنة وقيل اكثر» (ابو الفداء) ولما ظهر الاسلام اتخذهم القياصرة اعوانًا لهم على المسلمين كما اتخذوهم من قبل اعوانًا لهم على الفرس فكان الدم العربي المسيحي في جيش الروم يحارب الدم العربي في جيش المسلمين . اي ان الاخوين كانا يقتتلان كل واحد دفاعًا عن دينه وملكه وبلاده . وغير غريب ان تكون خرابة المشتى الجميلة أثرًا من آثارهم فقد روى المؤرخون انهم كانوا مولعين بالبناء وانشاء الحصون والقصور . منها صرح الغدير (١) في اطراف حوران لاميرهم ثعلبة . والقناطر وادرح والقسطل الذي مرّ ذكره لجبلة . والحفير ومصنعه للحارث بن جبلة . ودير ضخم ودير النبوة (٢) للايهم بن الحارث . وقصر السويداء للنعمان الذي قال النابغة الذبياني في ابيه عمرو

علي لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

واصلح النعمان بن الحارث صهاريج الرصافة وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة اللخميين . وبنى الايهم بن جبلة بن الحارث ابنية في تدمر وكان له عامل يُدعى «القين» بنى خسر وقصرًا عظيمًا في البرية ومصانع الذي يظن ابو الفداء انه قصر برقع

وكان الغساسنة يحبون السكنى في القفار والسهول الجدباء على الاقامة في المدن والقرى وذلك لانطباعهم في الاصل على المعيشة البدوية ولكن امراءهم كانوا يتخذون القصور والحصون مقامًا لهم ويبنونها في وسط القفار . وكان لديهم بناءون ماهرون في صنعة البناء من اليونان والفرس . وكل امير منهم لم يكن يبني شيئًا في حياته فانه يكون عندهم قد خالف سنّة اجداده كما رأيت في ما تقدم

وقد شاهد المسيو برهرت في سياحته التي نحن في صددها في جهات ادوم ايضًا آثار بُصرى الادومية (غير بصرة العربية) وهي التي كانت موجودة في عهد موسى لما اقتسم ارض الميعاد بين بني اسرائيل ودخلت يومئذ في قسم روبين . ولكن بما انها كانت على حدود مملكة روبين وادوم ومواب فقد كانت تتنقل بين هذه الممالك الثلاث تبعًا للمنتصر . وقد صارت في عهد قطسنطين الكبير وفيليب العربي كرسيًا للولايات العربية وبلغت من الحضارة مبلغًا عظيمًا . وفي عصر مملكة تدمر كانت حصنًا للحدود ومركزًا عامًا لقوافل التجارة .

(١) لعلها شربة البيداء التي تقدم ذكرها آنفًا

(٢) يقول ابو الفداء «البنوة» ولعلها اصح لنسبتها للاقنوم الثاني

اما اليوم فلم يبقَ فيها سوى خرابات فخيمة و بيوت حقيرة تسكنها ثلاثون او اربعون عائلة ولكن السائح وجد بجانب بصرى هذه خرائب قريتين تدعيان « غسام » قال بعضهم: فمن المحتمل ان تكون هذه الكلمة محرفة عن «غسان» وان تكون تلك الآثار من آثار الغساسنة ايضاً. و بذلك تقوى حجة القائل بان خرابة « المشتى » من آثارهم لثبوت وصولهم الى بلاد ادوم

كتاب مفتوح

الى عطوفتلو رشيد بك والي بيروت قبلاً
و والي بروصه الآن

هي قصة صغيرة نرجو من عطوفتكم ان تسمحوا لهذه المجلة ان تقصها عليكم . وهي مضطرة الى ذلك بسبب وظيفتها الاولى التي كانت لها

فانكم تعلمون يا صاحب العطوفة ان هذه المجلة كانت تُدعى « الجامعة العثمانية » وتذكر انها صدرت وعطوفتكم في بيروت . وقد صرفت همها منذ نشأتها للدعوة الى ما فيه التوفيق بين العناصر العثمانية المختلفة . وذلك لسببين (الاول) ان اخلاق صاحبها تكره الشقاق والنزاع . وهو يفضّل ان يكون بين الاحزاب تصيبه الصدمات من الجانبين على الانحياز لاحد الفريقين . ذلك لان الانحياز يقتضي التنازل عن الاستقلال الشخصي وطلب الغلبة لا طلب الحقيقة . فقد قال فولتير واصاب في هذه ان من ينشد الحقيقة المجردة لا يمكن ان يكون مع حزب دون حزب لان كلاً من الاحزاب في جانبه شيء من الحق . والعقل يوجب على العاقل الاعتراف بهذا الحق بدلاً انكاره تأييداً لحقه . (والسبب الثاني) ان مصلحة الدولة العثمانية نفسها ومصلحة « كل » العناصر فيها قائمة بالتوفيق والاتحاد والمسالمة

وقد استمرت « الجامعة العثمانية » في سنتها الاولى تبحث في الاصلاح العثماني وطرقه بكل حرية وهي تدخل مع البريد العثماني مارة على قلم المراقبة دون ان يؤخر جزء منها او تُنقص صفحة من صفحاتها .. فخيبتم بذلك ظن صديق غيور كان يرسل اليها من بيروت مع احد الاصدقاء يقول لها ان تعدل عن الكلام في الاصلاح وذكر الاصلاح لئلا يصيبها اذى . ذلك لانكم فهمتم غرضها وأحسنتم الظن بها

ولكن من سوء الحظ نُشرت في الجزء التاسع منها مقالة لم ترضوا عنها . فردَّ الينا الجزء المذكور . فحينئذٍ علمنا انكم لا تريدون ان نقول « الحقيقة المجرَّدة » بل ترومون ان ننظر اليها من جانب واحد فقط . و بذلك هدمتم مشروعنا الاول باشارة واحدة . لان الذمة لا تطاوع على ان نكتم شيئاً ونُظهر شيئاً . وبما اننا كنا نكره القيل والقال عزمنا على العدول عن الخطة السياسية الاولى . فغيَّرنا حجم المجلة وتركنا السياسة جانباً على نية ان نعود اليها يوماً في جريدة سياسية خصوصية . وبدل ان تكون « الجامعة » مقتصرة على الشؤون العثمانية كما كانت ، وسَّعت حينئذٍ فضاءها ومدَّت حدودها وصارت «الجامعة» الشرقية

ولم نذكر هنا يا صاحب العطوفة هذه الاخبار التافهة لابراز السبب الذي من اجله عدلت الجامعة عن خطتها السياسية الاولى . كلا . وانما ذكرنا ذلك لحدوث حادث كبير فرط عقد الجامعة العثمانية التي انشئت هذه المجلة اولاً للدفاع عنها . وعلى ذلك يجب عليها ان تقول الآن كلمة فيها . والا فسكوتها في حال كهذه الحال يُعدُّ بمنزلة تهكم جارح لها وللمبادىء التي دافعت من قبل عنها

ونظنكم قد علمتم اننا لا نريد بالقصة المذكورة سوى حادثة بيروت المشهورة . ولا تخافوا فاننا لا نكبّرها . ولكننا ايضاً لا نصغّرها . وقد مضى عليها الآن من الوقت ما كسر الحدَّة في الجانبين فصار يمكن الكلام فيها بعقل واعتدال لوجود من يسمع هذا الكلام بعد ذهاب سورة الغضب والجنون

ثم اننا لا نقصد بهذا الكتاب القاء تبعة الفتنة عليكم او على غيركم فان هذا الامر من شؤون مجالس التحقيق . وانما الغرض استخراج النتائج من هذه الحادثة لنرى هل جاءت منطبقة على مصلحة احد من الفريقين او على مصلحة السياسة التي كان والي بيروت السابق اميناً عليها

فعطوفة والي بيروت السابق كان بينه وبين دولة مظفر باشا حاكم جبل لبنان شيء من النفور . وذلك لسببين السبب الاول رغبة والي بيروت السابق في خدمة السياسة العثمانية من جهة لبنان . وكانت سياسته في هذا الامر موجهة الى مقاومة استقلال لبنان بقدر الامكان لاظهار عجز الشرقيين عن حكم انفسهم بانفسهم وهدم هذه المنقطة المستقلة التي وضعتها الدول هناك كوباء يُخشى ان تسري عدواه . ولذلك لم يكن والي بيروت السابق يقاوم ذات المتصرف بل ذات حكومته . والدليل على ذلك ان والي بيروت السابق كان يقاوم نعوم باشا كما كان يقاوم مظفر باشا . وقد شاهدنا بعيني رأسنا رسائل مهمة ضد متصرفية الجبل في عهد نعوم باشا واردة من بعض المراسلين المسيحيين في بيروت وفيها ان والي بيروت السابق

يريد نشرها دون حذف شيء منها ـ هذا هو السبب الاول في استيائكم من مظفر باشا والي لبنان · واما السبب الثاني فهو ان مظفر باشا كتب ضدكم الى الاستانة وقال فيكم ما قاله · فاستاءتم من ذلك ورمتم الاخذ بالثأر منه : قال المخبر البيروتي الثقة وهذا كان اصل البلاء بقطع النظر عن وصول الاسطول الاميركي

ذلك انكم كنتم تريدون كما قالوا ان يفرّ بعض من الاشقياء الى لبنان لكي تشكوا دولة مظفر باشا الى الاستانة بانه يشجع الاشقياء الذين يعيثون بالامن العام ويحميهم في بلاده · وفي الحقيقة ان هذا كان اشد انتقام منه لعلمكم ان جلالة السلطان يبذل ما عزّ وهان لحفظ الأمن في مدينة كمدينة بيروت في أحوال كهذه الاحوال · ولكن الضربة جاءت اكبر بكثير مما كنتم تظنون · فانكم بعثتم رجال البوليس لنزع السلاح من المزرعة والقبض على بعض المعتدين ثم ذهبتم الى مصيفكم في عاليه · ولكن ما لنا ولهذه التفاصيل المحزنة فلنضرب صفحاً عنها · ولننظر الى نتيجتها · ان نتيجتها لم تكن فرار خمسة او عشرة اشقياء الى لبنان لاتهام حاكم لبنان بحمايتهم بل كانت نتيجتها فرار عشرات الوف من « العثمانيين » الى لبنان · وانظروا ذلك التهكم الغريب الذي جاءت به تصاريف الاقدار : ان مظفر باشا الذي رمتم نكايته كُلّف من قبل الدولة بالنزول الى بيروت لمساعدة دولة الناظم الهمام على اصلاح الفساد

فمن ذلك يظهر ان نتيجة الحادثة جاءت مخالفة لمقصد والي بيروت السابق ولسياسته الشخصية كلّ المخالفة · فبدل ان يخرج له منها ما يرضي جاءه منها ما يُسخط لانها أحلّت سلطة خصمه ـ بل خصميه اي الناظم والمظفر ـ محلّ سلطته · ولكن فلنبحث · اذا لم يكن في تلك النتيجة نفع لسياسته الشخصيّة انما كان فيها نفع لسياسته العمومية من جهة لبنان

والاسف مسعاه حبط هنا كما حبط هناك ايضاً · ولم يحبط فقط بل انه ادى الى نتيجة معاكسة للنتيجة التي كان يطلبها · فان الحادثة المعلومة جعلت لبنان للفريق اللاجىء اليه بمنزلة حصن الأمن الذي تُحقن فيه الدماء · فلم يعد اللبنانيون وحدهم يتمسكون بامتيازاتهم فيه بل ان جيرانهم في كل الثغور صاروا اشد حرصاً عليها منهم لاشتراك منافعها بينهم · فكأن والي بيروت السابق قوّى امتيازات لبنان وزاد الناس تمسكاً بها بدل اضعافها · وحسبه ان يرى الآن تنبه العواطف القديمة في لبنان ليعلم سوء سياسته من نحوه

فهذه الحادثة يا صاحب العطوفة لم تنفع والي بيروت السابق شخصياً ولا نفعت سياسته العمومية · بقي علينا الآن ان ننظر الى المضرة التي نشأت عنها

ولسنا نقصد هنا بالمضرّة ما نزل في بيروت من الخراب المالي والتجاري · كلا · فان

هذا عارض والعارض يزول . وانما نقصد بالمضرّة تضعضع عاطفة كانت آخذة في النمو . وفي نموها مصلحة الدولة بلا مراء . واليكم البيان

تعلمون يا صاحب العطوفة ان ساسة الدولة العثمانية الاعلام مثل عالي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا كانت سياستهم مع المسيحيين في البلاد العثمانية تدور على محورين (الاول) استمالة رؤساء المذاهب المسيحية اليهم منعاً لمداخلات اوربا بينهم وبينهم (والثاني) بذل الجهد لفصل الرعايا المسيحيين «سياسياً» عن رؤساء مذاهبهم الدينية اذا لم يمكنهم استمالة هؤلاء الرؤساء . وكانت طريقتهم الى ذلك تدلّ على ثاقب فكرهم وواسع نظرهم واصابتهم الدواء اللازم وصفه للداء . فانهم وضعوا هذا المبدأ : ان الدين علاقة خصوصية بين المخلوق والخالق . فالمسيحي حرٌّ في ان يعبد الله كما يشاء . وليس من حق الدولة ان تتداخل في شيء من ذلك . ولكن اتخاذ الامور الدينية سبيلاً الى الامور السياسية في الدولة أمر يوجب على الدولة المداخلة . ولكي تمكنها هذه المداخلة يجب عليها الاهتمام باقامة العدل على السواء بين الجميع ومعاملتهم سرًا وجهرًا معاملة الاخوة الحقيقيين . فبهذه الطريقة ينفصل نبهاء المسيحيين شيئاً فشيئاً عن الاحزاب الدينية السياسية القديمة فيكونون اعواناً لنا . وبذلك تسقط عنهم وعنا السلطات السياسية الدينيّة

ونحن نخبر عطوفتكم يا صاحب العطوفة ان ذلك الحزب الجديد او النبت الجديد كان قد اخذ يتكاثر وينمو في بلاد الدولة . والداعي لكم كاتب هذا الكتاب يُقسم لكم بكل ماهو مقدس انه يعرف كثيرين منه . فان سياسة جلالة السلطان السلميّة من جهةٍ واهتمام اكثر رجال الدين بانفسهم قبل الاهتمام برعيتهم من جهة أخرى وظهور انانية اوروبا لمسيحيي الشرق ظهورًا رفع الحجاب عن عيونهم من جهة ثالثة - كل ذلك صار يُربي في ظلال الراية العثمانيه نابتةً جديدة لا مطمع لها في غير العدل الحقيقي والمساواة الحقيقية لتكون مخلصة الى اقصى درجات الاخلاص . وقد اشتغل كثيرون من الكتاب والخطباء في مساعدتها على ذلك اذ فيه مصلحتها ومصلحة دولتها معاً

فبينما نحن في ذلك واذا بحادثة بيروت تهدم مبداء عالي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا . اي تهدم البناء الذي بناه العقلاء في النفوس منذ ٢٥ عاماً . فماذا جرى حينئذ ؟ ان رجال المذاهب والاديان صار لهم في هذه الحادثة الاهمية الاولى واليد الطولى . والناس الذين كانوا ينتقدون رجال الدين لانهم لا يقومون بواجباتهم خرست السنتهم واختبئوا في الزوايا لعلمهم انه لم يبقَ الآن احد يسمع لهم . وكيف يسمع الناس عذلاً وانتقاداً في من يصونون

حياتهم ويسدون جوعهم . بل هنالك امر اعظم . اننا نعرف صديقاً في الاسكندرية مستاءً من مطران في بيروت . وكان لا يطيق ان يسمع بذكره لاعتباره انه اساء اليه في مسألة مهمة وان كان سيادة المطران يجهل تلك الاساءة او لم يتعمّدها . فلما حدثت حادثة بيروت وسمع عن المطران ما سمع صار يضحك ويسر لذكره . وقد اتفق مع احد اصدقائه وارسل اليه ٢٠ جنيهاً لينفقها على المحتاجين

ونظراً لما نعلمه من ان هذا الكتاب لا يطلع عليه احد غير عطوفتكم نخبركم خبراً عن الجامعة نفسها من هذا القبيل فان « الجامعة » نشرت في جزئها الخامس رواية عنوانها « الوحش الوحش او سياحة في ارز لبنان » وفي هذه الرواية فصل طويل بشأن الديور والرهبان . وقد جاء في هذا الفصل ان الديور لا نفع منها اليوم للناس اذا لم تغير خطتها . فلما حدثت حادثة بيروت تألمنا واخّرنا ارسال الرواية الى لبنان . لانها لو وصلت في ابان الحادثة لقوبلت بالسخط والضحك . وربما لا تُعدم هنالك راهباً متحمساً يقف ويقول « نفع الديور في هذا الزمان ظاهر للعيان . فانها تفتح ابوابها لالوف اللاجئين من بيروت فتؤويهم وتغذيهم وتسكّن قلوبهم » وهكذا يا صاحب العطوفة يضطر حزبكم ان يسكت . ونريد هنا بحزبكم حزب فؤاد باشا وعالي باشا اي الحزب المسيحي الذي يروم الانفصال عن الامور الدينية السياسية انفصالاً قطعياً للانضمام الى جامعة عثمانية مبنية على الاخاء والمساواة المطلقة والحرية

هذه هي المضرة الكبرى التي حدثت بسبب تلك الحادثة . وقد ذكرناها لكم بكل حرية دون رياء ولا تصنع . ولا ريب عندنا ان الدولة تستاء من هذه النتيجة اشدّ استياء لانها مناقضة للباب سياستها ومصلحتها . ولكن من المسئول عن ذلك يا ترى ؟ هنا نراكم تفكرون ملياً ثم توعزون الى سكرتيركم ان يجاوب عنكم فيجاوب بهذا الجواب الطويل

" هل تظنون ان الوالي ملاك هابط من السماء ؟ ان الوالي بشر كباقي البشر . فحين يولّى مدينة زاهرة كبيروت يُخيل له انه ملك في مملكة . فالعناصر المختلفة تزحف لاجلاله وتكريمه . واكثر اغنيائها لا يدخرون وسعاً في استمالته . فاليوم يقيمون له المآدب . وغداً يقدمون له الهدايا . وبعد غد يدعونه الى المراقص . واحياناً يرقص ابنه في هذه المراقص مع سيدة جميلة وبعد الرقص تعرق السيدة من التعب فتمسح بمنديل الوالي عرقها عن وجهها وعن الديكولته . نعم ان حرمه حينما يدرين بذلك يسخطن منه ولكن رضى السيدات قريب كسخطهن وهكذا لا يرى الوالي من نصارى بيروت غير الجوانب الدنيوية

المزخرفة ولا يصادف امامه من رجالهم الاَّ طلاب الوظائف والاغراض . فيخيَّل له ان جميع نصارى بيروت على هذه الشاكلة . فيطمع فيهم ويستخف بهم . وكم من والٍ يتهيَّب بيروت في الاسبوع الاول من ولايته ثم يستخف بها منذ الاسبوع الثاني . ولذلك قال بعض ولاة الديار الشاميَّة يعني جميع اهل الشام نحن لا نستخف بهم بل هم يُحنون لنا ظهورهم ويقولون اصعدوا واركبوا . فاين هذه الشهادة من شهادة معاوية بصلابة اهل الشام وحرصهم على حقوقهم . ومن جهة اخرى فان لبيروت داءً غير هذا الداء وهو دسائس الاجانب . وهنا تنفس سكرتيركم الصعداء وقال : انني اترك الدسائس السياسية جانباً واَنظر الى ما هو اهمُّ منها واريد به دسائس بعض تراجمة القنصليات في بيروت . فان بعضهم يتخذ السلطة القنصليَّة آلة يمتص بها منافع لنفسه ويدوس كل نظام وكل حق للوصول الى اغراضه . وقد كثرت هذه الشكوى حتى صار الناس يتمنون ان تجعل بعض الدول تراجمة قنصلياتها في بيروت اناساً من ابنائها ممن يحسنون اللغة العربية . فلماذا تلومون الوالي وحده مع ان له شركاء في المسئولية . ان الوالي ضيف . وهو اليوم هنا وغداً هناك . اما اولئك فهم ابناء البلد ولذلك يكونون احقّ باللوم منه متى سهَّلوا العبث بمصالح بلادهم وقومهم خدمة لمصلحتهم الخصوصيَّة . ولكن كل ذلك لا يُذكر بالنسبة الى الداء المهم وهو وجوب توحيد التربية والوجهة بين العثمانيين كما تصنع فرنسا اليوم في بلادها لقطع كل مداخلة اجنبية في داخليتها بواسطة رعيتها . وبدون ذلك لا تقدم ولا راحة »

فهنا نقطع كلام سكرتيركم يا صاحب العطوفة لنستحسن كل الاستحسان ما ذكره عن توحيد التربية العثمانية ونجيبه عليه اولاً . نعم نعم يجب توحيد هذه التربية . نعم نعم يجب ان نتشبه بفرنسا وذلك بان نمنع ان يكون في قلب الامة امتان وشعبان . ولكن هل يعلم طالبو هذا الامر الهام الذين كثروا في سوريا ومصر على الاخص اي شيء يقتضي؟ انه يقتضي قبل كل شيء وضع الدين جانباً . اي ان كل مدارس الدولة التي يدرس فيها الفريقان درساً واحداً ويتلقنان فيها مبادىء متشابهة يجب ان تكون كالمدارس الفرنسوية معزولة عن الدين عزلاً قطعياً . فالطلبة من اي مذهب كانوا لا يدرسون فيها غير الدروس العلمية والادبية واما الدروس الدينية والمبادئ الدينية فتدرَّس في المعابد والمنازل . ويوم تعزم الدولة على توحيد التعليم في الامة العثمانية بناء على هذا المبداء مقروناً بالعدل المطلق والمساواة المطلقة قولاً وفعلاً فانها تجد من ابنائها المسيحيين اناساً يبذلون كل ما عزَّ وهان في سبيل تأييدها . ولكن بغير هذا المبداء ليس تحت قبة السماء قوة قادرة على توحيد مبداء الامة العثمانية

والاسفاه هنا مصدر دائنا . ولا نعلم متى يمن الله علينا بالدواء الذي لا دواء سواه دون مداخلة من الاجانب في شؤوننا . وعلى ذلك فكل ما ذُكر غير هذا انما هو فرع عنه وتابع له

ولكننا لا نجهل هنا الاعتراض القوي الذي يُعترض به على هذا القول . وهو هذا. كيف تُترك السياسة الدينية ما دامت اوروبا نفسها تستعملها في الشرق كآلة سياسية . والاسفاه . وهنا اوروبا تقول ايضاً : كيف اترك السياسة الدينية في الشرق ما دامت الدولة تجعلها محورها السياسي وقاعدتها الاولى فتبقى الضغائن الدينية فيه قائمة قاعدة في املاكي واملاكها كدرع للمصالح المادية الخصوصية يمنع الاتفاق النهائي الصحيح . وبناء على ذلك تبقى هذه متعللة بتلك وتلك بهذه الى ما شاء الله . والرعية ـ مسلمين ومسيحيين ـ بين الجانبين تستغيث بالله من الناس وتقف حيرى في ساحة الارتقاء بينما جميع الامم يزحفون ويتقدمون

هذا يا صاحب العطوفة ما اردنا رفعه الى مسامعكم الكريمة بعد الحادثة المشومة . ومنه يظهر ان والي بيروت السابق قد اخطأ الى الدولة خطاء شديداً بتمهيده السبيل لذينك الامرين (الاول) زيادة الميل والتعصب في سوريا ولبنان لامتيازات لبنان (والثاني) جعل السلطة الدينية في سوريا او بالحري في بيروت السند الوحيد للرعية المسيحية وبذلك قوي نفوذ هذه السلطة بعد ضعفه وخرس المقاومون لها لانكم سددتم افواههم بالحجارة . فاين عيون فؤاد باشا وعالي باشا تنظر هذا الامر وتندب انهدام ما تعب العاملون سنوات عديدة في بنائه . ولا ريب عندنا بعد هذا الانهدام انكم تشاركوننا في الاسف لحصول ذلك على يد والي بيروت السابق . واذا لقيتموه يوماً فتفضلوا بابلاغه هذا الاسف والسلام

« الجامعة العثمانية القديمة »

« حاشية » ـ بعد كتابة ما تقدم دخل علينا احد قراء الجامعة وقال انه كان يُطالع في هذا الصباح مقالة « ثلاث دول » المنشورة في الجزء الاول من هذه السنة . قال « فوصلت الى وقوع المعتمد بن عباد امير اشبيلية العربي بين نارين : نار الافرنج في الاندلس لطلبهم ملكه ونار المغاربة في افريقيا لطمعهم فيه ايضاً . فاستنجد بالمغاربة على الافرنج قائلاً « لئن يرعى اولادنا جمالهم احبُّ الينا من ان يرعوا خنازير الافرنج » فجاء امير المغاربة يوسف بن تاشفين بجنده فردوا الافرنج ولكنهم استولوا على اشبيلية واسروا ملكها المعتمد بن عباد . ثم جاء بعدهم الموحدون فاسقطوهم وحلوا محلهم . وبقي النزاع في الاندلس قائماً

قاعداً بين العرب والمغاربة وقبائلهم بعضها مع بعض فاشتغلوا به عن حفظ انفسهم وتقويتها بينما كان خصومهم الافرنج يقوون انفسهم بالاتحاد تحت رايات دولهم . بل بلغ الحمق من تلك السياسة ان استنجدت دولة المرابطين بجيش من الافرنج على دولة الموحدين فلما فتح هؤلاء مراكش وجدوا فيها جيشاً افرنجياً (ابن الاثير) قال المحدث فلما وصلت الى هنا رأيت ان هذه الحادثة تنطبق كل الانطباق على حادثة بيروت . فان اهل المزرعة المعتمد ابن عباد واهل البسطة يوسف بن تاشفين وجنده . والافرنج ما زالوا افرنج . فهل يريد المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين ان يشغلا في بيروت مرة اخرى للافرنج كما اشتغلا لهم من قبل في الاندلس فصارت تلك البلاد كلها لهم »

قلنا سنوصل رأيك هذا الى عطوفة والي بيروت السابق ايضاً

العلم يبحث متلمساً

(الموت والحياة والسعادة والانسان)

آراء جديدة غريبة للعلامة الدكتور مشنيكوف في كتاب له حديث

اهتمت الدوائر العلمية في اوربا في هذا العام اهتماماً شديداً بكتاب عنوانه « مباحث في طبيعة الانسان » نشره العلاَّمة الدكتور مشنيكوف الروسي وكيل ادارة معمل باستور في باريز . وقد ذكر فيه آراء في غاية الاهمية عن الموت والحياة واصلاح طبيعة الانسان اصلاحاً فسيولوجياً . واليك خلاصة هذا الكتاب الغريب فانه يجب ان يكون له صدى بين قراء اللغة العربية ليقفوا على اغرب الآراء في مستقبل الانسان والحياة في الارض

هل الانسان مخلوق كامل تساءل العلاَّمة مشنيكوف هل يمكن ان يكون الانسان سعيداً في الارض . قال : ذلك ممكن ولكن بشروط . فان بعض الحشرات والازهار قد خُلقت مزوَّدة بكل الاعضاء والغرائز التي تُتيح لها السعادة فما عليها الآن الا ان تترك نفسها تعيش لتكون مستريحة سعيدة . ولكن الطبيعة غير عاقلة . فانها لم تخلق كل شيء بحكمة . وما الخلق عندها الاَّ عبارة عن تصادم دقائقها حسب الاتفاق . ولذلك جاء الانسان على غير ما ينبغي ان يكون ووجدت فيه اعضاء تتعبه وتنغّص عيشه على غير فائدة وقد ورثها من الحيوانات اجداده . فان « الزائدة المعوية » فيه (الابانديس) لا وظيفة لها في جسمه غير المرض لانها اثرٌ قديم . ولكنها في الارانب ذات وظيفة مهمة لانها تساعدها

على هضم الطعام . وكذلك المعى الغليظ فهو مفيد جداً للحيوانات المجترّة ولكنه في جسم الانسان موضع للخطر لان فضلات الطعام تتجمع فيه . وكذلك المعدة فانها مفيدة للبقر مثلاً ولكنها متعبة للانسان لانها تسبب له سوء الاخلاق وينشأ فيها السرطان . ولقد استأصل الاطباء المعدة من كثيرين فعاشوا دون معدة مسرورين مستريحين وذلك لاقتصارهم على اغذية كيماوية خفيفة على امعائهم

هذا من حيث اعضاء الانسان الداخلية . ولننتقل الآن الى امر آخر وهو «غريزته الحيوية» اي حبه الفطري للحياة . فنجد ان هذه الغريزة تعذبه اشد عذاب . فانها تنمو وتشتد كلما تقدم الانسان في السنّ . وسبب ذلك ان الانسان لا يبلغ اشده حتى تصيبه الشيخوخة والعجز . فتنتهي حياته قبل ان يتمتع بها كما يريد . ولذلك يزداد تمسكاً بها . ويتمثل له الموت دائماً نصب عينيه . واذا قيل ان ذلك ناموس طبيعي عام فالجواب ان هذا القول خطاء . فان كثيراً من الحيوانات وكل الديدان تموت دون ان يصيبها هذا الانحطاط اي المرض والشيخوخة . ومع ذلك فموت الحيوان لا يشبه موت الانسان . لان الانسان يشعر ويحس ان له اجلاً سيموت بعده وهنا موضع عذابه . واما الحيوان فلا يشعر بذلك بل يأتيه الموت ويأخذه دون علم منه . نعم ان كثيراً من الخيل تُظهر في ساحة الحرب اذا كانت مفروشة بالجثث خوفاً فطرياً ولكنها لا تدري بانّ لها اجلاً

فبناء على ذلك يكون المرض والشيخوخة والموت اعظم موانع السعادة والراحة في هذه الحياة

﴿ اصلاح طبيعته بسكين الجراح ﴾ قال العلامة مشنيكوف ولكن لنا طريقة لازالة هذه الشرور وانقاذ الانسان من الضعف والمرض وهي ان يُشقّ باطن كل طفل حين ولادته وتُمد اليه سكين الجراح فتحذف الزائدة المعوية وتبتر المعى الغليظ وتصلح المعدة او تحذفها . وهذا ما يسمّى اصلاح طبيعة الانسان . وبما ان الشرائع تمنعهم من تجربته في الاطفال فقد شرع مشنيكوف وتلامذته في تجربته بالقرود . فراحة الانسان وسعادته هي اذاً مسألة جراحيّة

ولكن فلنفرض ان هذه الاحلام قد صحت وتمكّن العلم من التغلُّب على الامراض بطريقة باستور اي طريقة المداواة بالمصل فماذا تكون النتيجة ما دام الانسان لا خلاص له من الشيخوخة . قال العلامة مشنيكوف : ولكن الشيخوخة نفسها يقدر العلم عليها . واليك رأيه

﴿ منع الشيخوخه قبل الثلاثمائة سنة ﴾ في دم الانسان ودماغه كريات حية نافعة بزيادتها وقوتها زيادة نشاطه وقوته . وفيه ايضاً جراثيم مضرّة بزيادتها وقوتها ضعفه

وخموله . وكلا الفريقين في حرب دائمة هذا يأكل ذاك وذاك هذا ! . ولكن الفريق الاول يكون اقوى في زمن الصبى والشباب . الا انه اذا اضعف الانسان قواه بامر من الامور تقوى الجراثيم المضرة على الجراثيم النافعة لضعف هذه حينئذ فتاكلها تلك وتحتل محلها في الجسم وتنشىء فيه اليافاً ثخينة هي علة الضعف والشيخوخة . فرغبةً في منع الضعف والشيخوخة يجب ان نُدخل الى دم الانسان مدداً للجراثيم النافعة لتقويتها دائماً على الجراثيم المضرة وبذلك نمنع الضعف والشيخوخة . وهذا المدد يكون مصلاً خصوصياً لذلك . هذه طريقة اولى . والطريقة الثانية ان نبحث عن اصل تلك الجراثيم المضرة ومصدرها . فهنا لا يعلم العلم شيئاً . وانما يظن الدكتور مشنيكوف ان تلك الجراثيم المضرة تصدر عن المعى الغليظ في الانسان لان الاطعمة تجمع هناك وتختمر وقد تفسد فتنشأ فيها الجراثيم المضرة وتتفرق منها في الجسم كله (١) ولذلك يوجب تقليل اكل اللحم ما امكن او الامتناع عنه قطعياً خصوصاً عن اللحم النيء وذلك رغبة في تقليل تلك الجراثيم . — قال فاذا عولجت طبيعة الانسان كما تقدم وذهبت اسباب الامراض والضعف والشيخوخة امكن الانسان ان يعيش مائتي سنة بل ثلاثمائة دون ان يشكو شيئاً ... فيكون طفلاً في المائة الاولى ... وفتى في المائة الثانية منصرفاً الى عواطف الشباب وملاذه ... ورجلاً خبيراً في امور الحياة في المائة الثالثة ..... ويكون في المئات الثلاث سعيداً مستريحاً سليماً من الامراض ...

بقي الموت قالوا ولكن ما الفائدة من كل هذا التعب اذا كان الانسان بعد بلوغه سن الثلاثمائة سنة سيموت . فالموت او فكر الموت يبقى اكبر منغّص لعيشه واشد مانع له من الراحة والسعادة في الارض . قال مشنيكوف كلا ثم كلا . ان الموت مسألة علمية ايضاً . فان العلم متى بلغ الحالة التي ذكرناها يكون قد حلّها احسن حل . فاننا نحكم اليوم على الموت بانه شرّ ونخاف منه اشدّ خوف وما ذلك الا لان جميع الذين يموتون اليوم انما يموتون موتاً غير طبيعي اي قبل الاوان . وهم يموتون قتلى بسمّ الجراثيم المضرّة التي ذكرناها . اما الموت الطبيعي . الموت الحقيقي فلا وجود له اليوم . فكيف نحكم عليه بانه مخيف منغّص للعيش قبل ان نعرفه ونختبره . فان شيخاً بالغاً مائة سنة قال لمشنيكوف « لو كنتَ بلغتَ سني لعلمت ان الانسان قد يحلو له الموت » وقال تولستوي في اثناء مرضه الشديد في عام ١٩٠١ وقد اشرف على الموت « ان الحياة لذيذة ولكني ارى الموت ألذ » . فغير بعيد بل الواضح كل الوضوح انه متى بلغ الانسان الثلاثمائة سنة وشبع من الدنيا والحياة توجد فيه

(١) هذا الراي الجديد من العلامة مشنيكوف جدير بالانتباه

« غريزة الموت » كما فيه « غريزة الحياة » فيصير يرى الموت عبارة عن نوم هادىء لطيف بعد تعب الحياة كما يرى احدنا الليل بعد النهار فيستقبل الموت في اجله متلذذاً مسروراً . اما الآن والواحد منا يموت في الاربعين او الخمسين من عمره فاننا لا نقدر ان نشعر بتلك الغريزة . فمثلنا في ذلك مثل بعض الفتيات الحبشيات اللواتي يتزوجن في الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من العمر ويقضين نحبهن باول ولادة فيمتن قبل البلوغ دون ان يشعرن بغريزة الحب ولذتها

هذه زبدة اراء العلامة مشنيكوف الغريبة في موضوعه الغريب . وهي وان كانت ممزوجة بكثير من التصورات الا انها تستحق مع ذلك كل امعان واهتمام لصدورها عن عالم له بين العلماء ارفع مقام . فترى هل يحقق العلم في المستقبل هذه الاحلام

رسائل ومسائل

اضطررنا الى فتح هذا الباب لننشر فيه ما يرد على المجلة من الرسائل والمسائل والاقتراحات, لكننا نرجو الاختصار اذ لا ننشر في كل موضوع من مواضيعه غير صفحة واحدة او اقل

ابن رشد والشدياق

نشرنا في صدر باب المراسلات في الجزء السابق رسالة تحت هذا العنوان . وقد علمنا بعد ذلك من جناب كاتب تلك الرسالة انه تحقق بعد ارساله رسالته ان الكتاب الذي اشار اليه لم يكن من تأليف الشدياق في ابن رشد ولكنه كتاب من كتب ابن رشد كان من كتب الشدياق وعليه اسمه . فانتفى بذلك ان يكون الشدياق قد كتب في هذا الموضوع . على اننا نرجو من كل من يعلم شيئاً عن هذا الامر ان يخبرنا عنه وله الفضل

روايات الجامعة

حضرة الفاضل منشئ الجامعة الغراء

بعد تقديم واجب التحية لحضرتكم لا يسعني الا ان اشكركم على اتحافكم قراء الجامعة بروايات هي بدعة في حسن السبك والاسلوب مع النظر الى حاجات العصر وفقر البلاد الى

المبتكرات الرقيقة الجامعة للحكم والفكاهات . فحقاً ان ما نراه او نسمع به عن مجلات الغرب قد تشخص الان لدينا بهذه الخطة الحسنة التي انتهجتموها حضرتكم فاصبح واحدنا بما يقرأه في الجامعة من المقالات والروايات مكتفياً بها عن تلك لان خطة كبار المؤلفين الذين يسبكون رواياتهم في قوالب المعاني والحكم ويحيكون عباراتهم على نول الرقة والذوق الحسن ممثلة بروايات الجامعة . فانها بعيدة عن الحب الفاسد والخيالات الوهمية المبنية على الغرام والوجد . فالروايات التي لا ينتقل قارئها الا من بيت العاشق الى مسكن العشيقة ومن لوعة الحب الى فرط الغرام ليست الا مكاوٍ تحرق قلب الشبيبة وترمي بها في وهدة اليأس وهاوية الضلال والغواية . فحاجة بلادنا هي الى روايات ملؤها الرقة والاداب ومغزاها تثقيف العقول وانهاض الهمم ورفع الافكار الى اسمى درجات الكمال . وهذا ما نقراه الان على صفحات الجامعة فنسأل الله ان يوفقكم الى تتميم مقاصدكم الحسنة

(الشيخ فضل) سليمان كرم

الربوة هي كشمير وفيها قبر المسيح

بقلم هندي مصدق لمسيح الهند ومؤيد له

حضرة الفاضل منشىء الجامعة الغراء

ان الذي نشرته الجامعة من تاريخ حياة المسيح واعماله نقلاً عن ابن الاثير الجرزي لنا كلام في بعض مواقعه . مثلاً ان الذين قالوا ان المسيح عليه الصلاة والسلام رُفع الى السماء الثانية او الرابعة بجسمه العنصري وصُلب مكانه رجل آخر فالعقل والنقل يخالفان هذه القصة ولا يصدقها المتفرسون . فان الذي صُلب في مصلب عيسى عليه الصلاة والسلام ان كان من المؤمنين فكيف صلبه الله وقد جاء في التوراة ان من صُلب فهو ملعون وان كان المصلوب من اعداء عيسى ومن الكفار فكيف سكت المصلوب عند صلبه وما برّأ نفسه وكيف بقي امره مكنوناً والمصلوبون لا يموتون الا الى ثلاثة ايام او اكثر . الم يكن له شهداء من امه وزوجه واخوانه وجيرانه واحبابه واصحابه ومن الذين كان اودعهم اسراره وكانوا يعرفونه . فهذه القصص لا تقبلها الفطرة الصحيحة

ثم كتب ابن الاثير في كتابه ان مريم حملت المسيح الى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهي الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل دمشق وقيل بيت المقدس وقيل غير ذلك . اقول ان الربوة التي ذكرها الله في هذه الآية «وآويناهما الى ربوة ذات قرار معين»

فيها نبوءات متعلقة بعيسى وامه لمتفحص امرهما وهي هذه (١) ان الله تعالى آواهما بعد ما رأيا اشد المصائب ولم يريا بعدها مصيبة مثلها لان لفظ الايواء لا يستعمل الا لايواء احد من مصيبة اصابته فيقال آويته ايواء اي هيأت له اسباب النجاة وافضته بالراحات بعد ما رأى التكاليف والمقاسات ٠ ولم تمض على عيسى وامه زمان مصيبة صعبة قبل واقعة الصليب ٠ فعُلم ان الله تعالى اثارهما الى ملك آخر وآواهما بربوة بعد ما رأيا واقعة الصليب (٢) مكنهما بربوة مرتفعة عن سطح الكرة الارضية (٣) ابقاهما بتلك الربوة الى آخر حياتهما معاً (٤) ان الربوة ذات ينابيع وعيون وان ماءها صافٍ وشافٍ وهي كلها من نعماء الله تعالى وان الله تعالى لم يسلب منهما تلك النعماء بعد العطاء ٠ فليتدبر القراء كلمات الآية المزبورة جيداً جداً ٠ واما ما احتار ابن الاثير فيه من تعيين الربوة فنحن نرفع الاختلاف والحيرة بحول الله تعالى بتعيين تلك الربوة مستهدين بشهادة الآية المذكورة الفصيحة والتواريخ الصحيحة والقرائن الصريحة والمشاهدة العيانية فنقول ان تلك الربوة هي «كشمير» ومن اراد تفصيل هذا الاجمال فليطلب منا «اعلان قبر المسيح وتواريخه» واما الذين يُصعدون عيسى الى السماء فاراهم مخالفين للقرآن كما قال الله تعالى «فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون» ، واما قوله تعالى بل رفعه الله اليه فهو كقوله تعالى «ورفعناه مكاناً علياً ٠» وكقوله عن ابراهيم عليه السلام «اني ذاهب الى ربي» ٠ وكقوله تعالى «يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك» ٠ ومثله «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات»

محمد فضل خان (الهند)

الجامعة قلنا فالنتيجة التي تخرج من هذه الرسالة ان قبر المسيح في جبل كشمير (الهند) وانه قام اليوم من الاموات ليهدي الناس ويجمعهم على دين واحد وانه هو الميرزا غلام احمد القادياني نبي الهند الجديد الذي تقدم ذكره في غير هذا الجزء ٠ فيا حبذا لو كان في الامكان ان نتحقق هل ان حضرة المراسل يجد ام يهزل في هذه الرسالة

ارز لبنان روت الجرائد الانكليزية انه يوجد في لندن وضواحيها من غصون الارز اللبناني ما لو جمع لزاد مقداره على ما في جبل لبنان ذاته ولو لم يكن لهذه العاصمة التي هي اكبر عواصم الارض سوى هذا الدليل من ادلة العظمة لكفى (الشرق)

آثار الشرق القديمة

اشهر الآثار الشرقية

عمود ميزا من عصر التوراة – هل هو مزوّر

اشهر الاكتشافات الاثرية الشرقية عمود ميزا الذي ابتاعه متحف اللوفر في باريز في عام ١٨٧٣ . هكذا قال عنه رنان في جريدة الديبا في عام ١٨٧٠ . وسبب هذه الاهمية ان هذا العمود يحتوي كتابة لملكين من ملوك مواب الوارد ذكرهم في التوراة احدهم يُدعى ميزا وهذه الكتابة تفصّل بعض الحروب التي حصلت بين بني اسرائيل ومواب في زمن هذا الملك . فكانها تتمة للتوارة . مثال ذلك قول ميزا « انا ميزا ابن كاموجاد ملك مواب . لقد بنيت بعل مون . واصلحت بناء كيرياتايم . وكان ملك اسرائيل قد بنى ياحاس واقام فيها مدة الحرب . فطرده كاموس من وجهه . فاخذت مائتي جندي فقط وصعدت الى ياحاس فضممتها الى ديبون . ولقد بنيت قرحا وانشأت ابوابها وبروجها وبنيت قصر الملوك وبنيت سجونًا في وسط المدينة . ولم يكن فيها آبار من قبل . فقلت للشعب « فليحفر كل واحد بئره في بيته » ثم حفرت اقنية الى قرحا بواسطة اسرى من بني اسرائيل . ولقد بنيتُ اروير .. ولقد بنيت بيت باموث بعد انهدامها ... الخ الخ » على هذا النسق مما لا تخفى اهميته لان الحوادث الواردة في التوراة مشتركة مع هذه الحوادث

وهذا العمود ارتفاعه متر وعرضه ٦٠ سنتيمترًا وهو مؤلف من ٣٠ قطعة لانه وجد قطعًا قطعًا . والكتابة المنقوشة عليه مكتوبة باللغة الموابية في سنة ٨٩٦ قبل الميلاد المسيحي . واللغة الموابية فرع عن اللغة العبرانية ونقشها بالعمود بحروف الهجاء الفينيقيّة التي سبقت حروف الهجاء اليونانية هذا في الشهر الماضي نشر احد العلماء النمساويين وهو المسيو البير لاوي رسالة قال فيها ان هذا العمود مزوّر كما ان تاج سايتفارنيس الذي ذكرناه مرة كان مزورًا . فتصدّى له العلامة كليرمون كانو المستشرق الفرنسوي المشهور وهزأ بقوله . وقال انه يكفيه شهادة رنان وشهادة علماء انكلترا والمانيا بصحة مصدر الكتابة والعمود . وقد ايّد المستشرقون هذا القول . وانما اهتم المسيو كليرمون كانو هذا الاهتمام لانه هو الذي ابتاع للوفر هذا العمود لما كان ترجمانًا لقنصلية فرنسا في القدس . وقد ابتاعه من البدو الذين وجدوه على مسافة ثلاثة ايام من القدس في جهات البحر الميت . ولما كان المسيو فوكوه في القدس شاهده وشهد بصحته

باب الاخبار العلمية

﴿ وظيفة الضحك ﴾ قال المسيو دي فاريني ان الضحك عبارة عن احتجاج على عمل مناقض لاصول الاجتماع وتنبيه الى النظام المتبع . فهو اذاً ذو وظيفة اجتماعية اصلاحية خصوصية . ولذلك انفرد الانسان به دون الحيوان

﴿ ميكروب جديد ﴾ قدم المسيو رو بلاغاً الى المجمع العلمي بالنيابة عن المسيو سازراك يقول فيه انه اكتشف ميكروباً جديداً يؤكسد الغليسرين

﴿ الصاعقة وابرة فتاة ﴾ وقعت الصاعقة منذ مدة في فرنسا على فتاة تشتغل بالابرة في البيت فخطفت الابرة منها دون ان تُصاب الفتاة بضرر سوى الاغماء

﴿ اطول رجل في العالم ﴾ معدل طول قامة الانسان متر واحد و٩٣ سنتيمتراً ولكن الاستاذ لوشان شهد في شهادة خطية انه فحص قامة رجل من كوسجا كي في روسيا عمره ٢٢ سنة ويُدعى فيودور ما خوف فوجد طولها مترين و٣٨ س وهو اطول رجل في الارض وقد استاجروه ليعرضوه في بلاد اوربا

﴿ ترتيب الحروف بالتلغراف ﴾ عرض المسيو درسونفال على المجمع العلمي الباريزي آلة اخترعها المهندس روزار واسمها (اليكترو تيبوغراف) ووظيفتها ترتيب الحروف بالتلغراف في عدة اماكن معاً اي ان صاحبها اذا مدّ سلكه التلغرافي الى خمس ادارات من ادارات الجرائد استطاع بآلته ترتيب حروف مقالة واحدة في هذه الادارات معاً

﴿ عدد الزلازل منذ التاريخ ﴾ احصي عدد الزلازل منذ التاريخ فكان ١٥٦ الف زلزال منها ٢٠ في المائة بعضها حدث في الخط بين اسيا الشرقية واميركا الغربية وبعضها حدث في خط البحر المتوسط . فاستدلوا بذلك على ان هنالك سبباً محلياً

﴿ ظهور المذنب بورلي ﴾ شاهدت مراصد مرسيليا هذا المذنب في الصيف وقد كان يُرى من فرنسا بالعين المجردة ولكن خفيفاً . والمدهش ان ذنبه تغير تغيرات مدهشة كما يؤخذ من صوره الفوتوغرافية . فانه كان يوماً كالحرف S بشكل مستطيل . ثم عاد فاستقام ولكن صار طرفه معكوفاً . وبعد عدة ايام تقطع ذنبه عدة قطع وتحول عن مركزه الاصلي ثم نبت له ذَنَب ثانٍ وبعد ذلك صار باربعة اذناب . فكان امره غريباً . وهو بعد ذلك اتجه

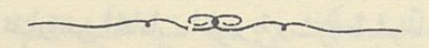
نحو الشمس فغاب عن الانظار . وقد حللوا غازه فوجدوا فيه شيئاً كثيراً من الهيدروكاربون وحامض السينيدريك الذي هو سم زعاف . ولذلك قال المسيو برتلو في المجمع العلمي انه اذا صدم احد المذنبات الارض مات سكانها اختناقاً بهذا الغاز كلمع البرق الا اذا كان هذا الغاز يحترق حين اتصاله بجو الارض

﴿ اختراع جديد للغرقى ونقل السمك ﴾ عُرضت في باريز آلة جديدة لمساعدة الغرقى والسمك . اما الغرقى فتمدّهم بالاوكسيجين وهم في البحر لتطيل مدة بقائهم الى ان يأتيهم المدد . وهي مؤلفة من كيس يُخزن فيه الاوكسجين وتلصق آلته على الوجه . واما السمك فيفيده هذا الاوكسجين في نقله من مكان الى مكان دون ان يموت . وقد نقلوا بهذه الآلة ٣٠ كيلوغراماً من السمك في ٨٠ ليتراً من الماء فقط من جنيف الى فينا وبقي السمك حياً

﴿ حمم الارض ودم فتاة ﴾ خاف بعضهم لتتابع الزلازل في هذين العامين ان تنفجر الارض لكثرة الحمم الخارجة منها فردّ عليه آخر يقول ان الحمم التي خرجت من البراكين نسبتها الى الارض كنسبة الدم الذي يخرج من اصبع فتاة تُطعن بابرة الى تلك الفتاة

﴿ اهم مموث في العالم ﴾ المموث حيوان هائل كالفيل انقرض في جملة الحيوانات المنقرضة . واهمُّ حيوان منه وجد منذ مدة في سيبيريا مطموراً بين الثلوج ولا يزال لحمه وعيناه وجلده ولسانه سليمة . وطوله ٣ امتار وعلوه متران وقد نقل الى بطرسبرج بعد تقطيعه لكن جلده اخذ بالفساد فاذا استطاعوا حفظه وتركيبه كما كان كان مموثاً حقيقياً فريداً في العالم كله

﴿ سير زورق في البحر وحده ﴾ عرض المسيو ابرت على مجمع العلوم في باريز اختراعاً للمسيو توريس المهندس الاسباني ومداره ارسال قوة كهربائية بلا سلك من البر الى زورق في البحر وتسييره بها الى اية جهة كانت دون ان يكون فيه احد . وعلى ذلك فربما سُيرت السفن الكبرى في المستقبل على هذه الطريقة بلا سكان (دفة) ولا آلة بخارية وربما قُذفت بها الطوربيد من البر الى السفن الهاجمة فاصابتها مهما كانت بعيدة



باب التقريظ والانتقاد

﴿ عرفات ﴾ وددنا لو اتسع لنا المجال في هذا الجزء لتعريف هذه الجريدة الجديدة الى قراء الجامعة تعريفاً يفيها حقها . فهي جريدة اسبوعية فرنسوية العبارة انشاءها حضرة الشهم الفاضل محمود بك سالم من كرام المصريين المشهود لهم بالفضل ومكارم الاخلاق . وغرضه منها تعريف الشرق والاسلام الى الغربيين . ويسرّنا ان نكون على اتفاق في كثير من المسائل مع رصيفتنا عرفات . ويكفينا منها للدلالة على مشربها قولها في صدر العدد الثالث ما ترجمته « لو اتبع المسيحيون تعليم المسيح اتباعاً حقيقياً وكذلك المسلمون تعليم القرآن لما بقي بين الفريقين من فرق ولا قيد اصبع » وعندنا انه اذا استمرت « عرفات » في الجادة المستقيمة فان اسم منشئها الفاضل يضمّ في دفتر الاصلاح الشرقي العظيم الى اسم قاسم بك امين وغيره من المصلحين الذين لهم جراءة وقوة على الجهر بالحق اينما وجدوه

﴿ الاداب ﴾ هي خطبة لحضرة الفاضل الاديب جرجي افندي نقولا باز تلاها في جلسة جمعية شمس البر في غرف القراءة في بيروت وقد جمع فيها كثيراً من اقوال الفلاسفة والعلماء في « الآداب » وقد تفضل باهدائها الى الجامعة اشتراكاً في تنشيطها وتشجيعها في خدمتها . فنشكر له هذه الهدية النفيسة ونرجو ان تبقى الجامعة اهلاً لثقة اهل الفضل والادب

﴿ رباعيات المعري ﴾ نظم حضرة امين افندي ريحاني الكاتب الجرىء شيئاً من شعر ابي العلاء المعري شعراً انكليزياً وطبعه في محل الخواجات دو بلندي وبيج وشركائهما في نيويورك فنثني على حضرته الثناء الذي يستحقه فضله واقدامه على الامور المفيدة التي ترفع الشرقيين في نظر الغربيين

﴿ كتب مدرسية ﴾ اهدانا حضرة رصيفنا الفاضل احمد افندي طباره رئيس تحرير جريدة ثمرات الفنون الغراء ثلاثة كتب مدرسية طُبعت على نفقته اثنان منها تأليف حضرة العالم الشيخ طاهر الجزائري (اولها) ارشاد الالبا الى طريق تعليم الف باء (وثانيها) رسالة الف با وهي ملخصة من الكتاب الاول (والثالث) المقامات العشر لطلبة العصر وهي مختارة من المقامات الحريرية ومشروحة شرحاً وافياً بقلم جناب الاستاذ الشيخ محمد المبارك الجزائري فنشكر لها ولحضرة الناشر خدمتهما للادب

﴿الشرق﴾ الشرق اسم لجريدة سياسية يومية صدرت في الثغر لصاحبيها حضرات الفاضلين حنا افندي جاويش . وطانيوس افندي عبده . وقد جاء « الشرق » منذ اول صدوره كبيرًا في حجمه ومواضيعه وانتظم في سلك الجرائد اليومية الكبيرة فندعو له بتمام النجاح

﴿الظاهر﴾ الظاهر جريدة يومية جديدة صدرت في العاصمة لصاحبها ومديرها حضرة المحامي المشهور عزتلو محمد بك ابو شادي وقد انتظمت منذ صدورها في سلك الجرائد اليومية الكبرى فندعو لها بالنجاح

﴿المهاجر﴾ هي جريدة اسبوعية سياسية جديدة تصدر في نيويورك لحضرة صاحبها الكاتب الفاضل امين افندي غريب وغرضها ان تكون صلة بين المهاجرين في اميركا واهلهم في الشام . فنتمنى لرصيفتنا النجاح الذي تستحقه

﴿كتاب لهربرت سبنسر في التربية﴾ اعلن حضرة الرصيف الفاضل نجيب افندي شقرا صاحب مجلة الاستقلال الغراء عزمه على نشر كتاب في التربية للفيلسوف هربرت سبنسر المشهور بعد ان استأذن الفيلسوف في ترجمته . وسيصدره في هذا العام . فمتى صدر وفيناه حقه

﴿السنان الفيلسوف﴾ هي الرواية الثانية والعشرون من روايات مسامرات الشعب تأليف حضرة الفاضل احمد افندي حافظ عوض المحرر بالمؤيد . ولا عجب ان تصدر المسامرات عدة روايات متتابعة من قلم حضرته فانها تعلم ما لاسمه من المنزلة في نفوس القراء

﴿العصر الجديد﴾ هي مجلة شهرية لصاحبها جناب محمود افندي صادق سيف واشتراكها السنوي ٤٠ غرشًا صاغًا فندعو لها بالنجاح

﴿الاعراب عن قواعد لغة الاعراب﴾ كتاب موضوعه المعاني وضعه جناب الفاضل رشيد افندي عطيه وهو مكتوب باسلوب سهل مقرون بالشروح التي توضح قواعده فنشكر له هديته

﴿الواعظ﴾ هو جريدة اسبوعيّة عموميّة لصاحبها ومحررها جناب الكاتب الفاضل محمود افندي سلامه المشهورة آثاره في جرائد مصر اليومية فندعو لرصيفتنا بالنجاح الذي تستحقه

﴿بليزار﴾ هي رواية ادبية سياسية للكاتب الفرنسوي مرمونتال تعريب حضرة عباس افندي ابي نخول البجاني الشبابي اللبناني وقد نشرت تباعًا في رصيفتنا جريدة المناظر وهي تطلب منها في سان باولو بالبرازيل

﴿مجلة ابقراط الطبية﴾ هي مجلة طبية عملية للاطباء وصحية للعائلات لمنشئها حضرة الدكتور الفاضل حسين افندي يسري وادارتها في مصر فنرحب بالرصيفة الجديدة

﴿ الشبيبة السورية ﴾ هي جريدة تهذيبية انتقادية جديدة اصدرتها في البرازيل جمعية الشبان السوريين في ريوجانيرو فنرجو ان تخدم قراءها الخدمة المفيدة المنتظرة من شبان افاضل يعرفون حاجات قومهم

﴿ البستان ﴾ جريدة يومية سياسية انشأتها شركة من كرام السوريين في بوسطن من اعمال الولايات المتحدة وعهدت تحريرها الى جناب سليم افندي سركيس فنرحب بالرصيفة وندعو لها بالنجاح

﴿ الخلاصة ﴾ هي خلاصة مشروعي انشاء كنيسة واقتناء مقبرة للطائفة السورية الارثوذكسية في نيو يورك . وضعها حضرة الاب المفضال الارشمندريت روفائيل هواويني فنثني على همة سيادته ونسأل الله ان يقويه في خدمة رعيته

﴿ الامة الشرقية ﴾ هي مجلة علمية ادبية لصاحبها ح . ص . تصدر في الشهر مرة وقيمة اشتراكها اربعة فرنكات ونصف فقط فندعو لها بالنجاح

﴿ المباحث ﴾ وردتنا هذه المجلة الجديدة لمنشئها حضرة الاب جرجس فرج صفير وهي تبحث في كل المواد العلمية والادبية والفلسفية والدينية والانتقادية فندعو لها بالنجاح والاعتدال

﴿ المعاني ﴾ هي جريدة فكاهية انتقادية لصاحبها ومحررها جناب يوسف افندي يعقوب وهي مكتوبة باللغة العامية فندعو لها بالنجاح

﴿ الانسانية ﴾ هي مجلة جديدة لصاحبها ومديرها حضرة المحامي محمد افندي ابي النصر ومحررها حضرة الشيخ ابرهيم الدماغ واسلوب الانسانية في التحرير والانتقاد اسلوب جامع للمتانة والظرف مما يندر في غيرها

﴿ النيل ﴾ هي جريدة ادبية فكاهية تصويرية لصاحبها حضرات محمد افندي غانم وسليم افندي قبعين وتصدر كل اسبوع مرة فنرجو لها النجاح

﴿ روض المسرة ﴾ هو عنوان الكتاب الذي جُمعت فيه تهانئ الحبر المفضال السيد جراسيموس مسرَّه مطران الروم الارثوذكس في بيروت لمناسبة انتخابه مطراناً لابرشيتها . وقد خُصص ثمن هذا الكتاب لوجه البر وهو مطبوع طبعاً منقناً في مطبعة رصيفتنا جريدة لبنان الغراء . فنكرر لسيادته التهنئة بهذه المناسبة

﴿ الجريدة الماسونية ﴾ اصبحت المجلة الماسونية الشهرية جريدة نصف شهرية لصاحبها جناب نقولا افندي سابا ويحررها ع . ب وقيمة اشتراكها ٤٠ غرشاً صاغاً في السنة

اضطررنا الى اختصار باب التقريظ والانتقاد في هذا الجزء لضيق المجال